وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور-خنشلة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: العلوم الإنسانية

شعبة: تاريخ

تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

الرقم التسلسلي: .....

مالك بن نبي وموقفه من الحركة الوطنية الجزائرية قراءة في مؤلفاته

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في شعبة التاريخ، تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

إعداد الطالبتين:

- فدوى بوطويل.
- أشواق بن عشي.

إشراف الأستاذ:

زيد طايبي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
سمية مزدور	أستاذ محاضر-ب-	رئيسا
زيد طايبي		مشرفا ومقررا
سيدي محمد رامي		مناقشا

الموسم الجامعي: (2024م-2025م)-(1445هـ-1446هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء:

الحمد لله الذي أكرمني بهذا الإنجاز المتواضع والذي أهديه إلى:

التي لم تتعلم كيف تحب نفسها لأنها كانت مشغولة بحبنا...**أمي** حبيبتي ورفيقتي وأختي...لو أنني كتبت اسمك على الغلاف لكان أصدق عنوان...إلى التي سجدت في ظلمة الفجر وأنا غافلة فأيقظت في روحي نورا قاوم السقوط...يا أجمل كلمة في قاموس حياتي...يامن منحتني الأجنحة لأحلق رغم كل العقبات...يامن أشعلت في داخلي نار التحدي...أهديك قلبي مع هذا الإنجاز.

إلى ذلك الرجل الذي حمل الأيام على كتفيه كي لا تمسني بثقلها...إلى الجبل الذي علمني الصبر...وكيف أموت واقفة ولا أنحني...**أبي** أنت حكمة لم تنطق إلا بأفعال أكثر منها كلمات...إلى من اختصر احتياجاته ليوسع عالمي عطاؤك لم يكن لحظة كان أسلوب حياة كان فلسفة حب خفي...شكرا بحجم مالا يقال وبعمق مالا يقاس إليك أهدي هذا العمل.

إلى **أخي** الوحيد فيصل نصف قلبي ورفيقي النادر...كنت الصغير الذي أراقبه بحب وأرى فيه البراءة والعناد الجميل...صوتك يهدئ عواصف أيامي لسندي في هذه الحياة...ومرآتي الصافية...أخي الوحيد الصغير إليك أهدي هذا النجاح.

إلى **عائلتي** جذوري الأولى وامتداد روحي في هذا العالم...إلى كل من انتمى إلى قلبي بصلة دم أو دعاء...إلى **أخوالي** الذين حملوا نبل أمي في ملامحهم...وإلى **أعمامي** الذين يشبهون أبي في خصالهم...أخص بالذكر **خالي "توفيق"** السند الغالي...**وزوجته** القلب النابض بالحب والعطاء...إلى **خالي "حمزة"** المشجع باستمرار...إلى **جدتي** التي لم تنساني بالدعاء...**وخالاتي** الطيبات الحنونات...أهديكم هذا العمل.

إلى صغير العائلة **وابنة خالي "غفران"**...كبيرة أنت في قلبي...لم تكوني مجرد طفلة تمشي في بيتنا بخطى بريئة...بل كانت حضورا من نور...كأن شيئا في روحي كان ينتظرها لتكتمل الطمأنينة...فإليك أهدي هذه الصفحات قبلة على الجبين.

إلى **رفيقات دربي** المقربات أحبكن وبكل فخر ممتنة لوجودكن في حياتي **"منولة، شيمومة، عبورة، شوشو"**.

إلى **نفسي**...كل ما في هذه الصفحات هو شاهد على ليال باردة قاومت فيها الانهيار...وها قد وصلت.

فدوى

الاهداء:

بكل مشاعر الحب والفخر والامتنان أهدي هذا العمل:

إلى من حملتني...حبا قبل أن تحملني جسدا...إلى من سهرت الليالي لأجل راحتي...إلى نبع الحنان...إلى ضياء عمري...لكي أقدم ثمرة أيامي وكل نجاح هو امتداد لروحك الطيبة...يا وطنا لا حدود له...يا سكينة عمري...صوت الدعاء الذي يفتح لي أبواب السماء...كل نجاح لي هو سطر في كتابك...وكل فرح في حياتي أنت أول من يستحقه.

إلى من أحمل اسمه بكل فخر واعتزاز...يامن كنت ظلي حين لفحتني شمس التعب...وعمودي الذي استندت إليه كلما مالت بي الحياة...لا كلمات توفيك حقك...لكني أهديك هذه المذكرة عربون حبا واعترافا بجميلك...يامن غرست في قلبي العزة والكرامة لك هذا الإنجاز...فهو غصن من غصون تعبك...لك وحدك يا من علمتني كيف أواجه الحياة بثبات...أكتب لك هذه الكلمات فأنت البداية...وأنت كل الطرق التي قادتني إلى هذا النجاح.

إلى **إخوتي** شركاء اللحظة والذاكرة كبرنا معا تقاسمنا الحلوة والمرة...تعلمت منكم كيف يكون الحب بلا شروط...هذا الإنجاز لكم لأنكم كنتم دوما جزءا من الحلم...أنتم الأمان حين تهتز الأرض من تحتي والضحكة التي تسبق كل دمعة...ولكم أهدي هذه الثمرة...إلى **أخي الأكبر** "**نجيب**"...إلى **أخي** الغالي "**عبد الرؤوف**"...إلى **أخواتي** الطيبات الحنونات الأنيسات الرفيقات.

إلى **عائلتي الكبيرة** التي كانت الحاضنة الأولى لكل حلم...إليكم أنتم الذين كنتم الدعاء الصادق...واليد التي تصفق لي من بعيد...لكم محبتي وامتناني واحترامي لكم...أهدي هذا النجاح بكل فخر.

إلى **أبناء أخي** "**ساجد، ساعد**"...إلى **أبناء أخواتي** "**محمد، رحمة، أنيس، رائد، إسراء، كوثر، إخلاص**"...أهديكم هذا الإنجاز الصغير لعله يكون دافعا لتصنعوا إنجازاتكم القادمة.

إلى **صديقاتي**...رفيقاتي العمر...شريكات اللحظات السعيدة "**فدوش، عبور، أسماء**".

إلى **نفسي** تلك التي صبرت حين اشتد التعب...وأمنت بأن النور يولد من رحم المعاناة.

أشواق

الشكر والعرفان:

أول الحمد وأوفاه وأول الشكر وأحقه...نرفعه إلى الله تعالى الذي لولاه ما كان لهذا العمل أن يرى النور...فالحمد لله الذي سخر لنا من الأسباب ما أعاننا ومن النعم ما أغنانا...ومن الصبر ما ثبتنا...فله الحمد في الأولى والأخرة...فله الشكر أن بلغنا هذه المرحلة.

وإننا بعد حمد الله وشكره على نعمه التي من بينها أن يسر لنا أستاذا مشرفا كريما...عميق الفكر...كان المرشد الذي لا يمل...والناصح الذي لا يتأخر في لحظات التردد والارتباك...نهلنا من علمه واقتدينا بتواضعه...كان حضوره في مسارنا العلمي أعمق من أن يحصر في الملاحظات والتوجيهات...فله منا أسمى معاني الشكر والتقدير للمشرف "**زيد طايبي**".

كما لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نعبر عن عمق امتناننا لكل من الأساتذة الأفاضل "**مولود عويمر، حسن بوبيدي، جبا الله رابح إسلام، بدران بن لحسن**" حيث استرشدنا بما جادت به قرائحهم من رؤى ناضجة وتصورات رفيعة لتوجيه هذا العمل المتواضع.

كما نتوجه بخالص الشكر لكافة أساتذة قسم التاريخ بكليتنا الذين كان لعطائهم العلمي ونبل مواقفهم بالغ الأثر في إثراء تجربتنا البحثية.

شكرا من القلب لكل روح ساهمت في هذا العمل سواء أكان دعما معنويا وكلمة صادقة أو ملموسا بتوجيه علمي...فلكل منهم أثر لا ينسى.

المقـدمـة

شهدت الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين حراكًا سياسيًا وفكريًا متسارعًا، تمثّل في نشوء الحركة الوطنية وتعدّد تياراتها، حيث عبّر كل تيار منها عن تصوّرات متباينة في سُبل مواجهة الاحتلال الفرنسي، وفي رسم معالم المستقبل السياسي للأهالي الجزائريين. وقد تقاربت هذه التوجهات في بعض مرجعياتها، واختلفت في منطلقاتها ومقاصدها، مما أسهم في تشكّل دلالات متعدّدة لمفهوم الوطنية، وتنوّع في فهم العمل السياسي الفاعل ضمن سياق معقّد ومتشابك.

وفي ظل الاهتمام الأكاديمي المتواصل بتاريخ الحركة الوطنية، ومساراتها الفكرية والسياسية، برزت محاولات متعددة لمقاربة هذه المرحلة التاريخية من زوايا تحليلية غير تقليدية، لا سيّما عبر ما كتبه بعض المفكرين الذين لم ينخرطوا مباشرة في العمل الحزبي، لكنهم قدّموا قراءات نقدية وتأملية في واقع النضال الوطني ومآلاته. فكان مالك بن نبي علما ضمن هذا السياق، بوصفه من الأسماء الفكرية التي سعت إلى الربط بين المعطيات السياسية والاجتماعية، وبين البُنى الفكرية والحضارية العميقة التي تحكم حركية التاريخ والواقع.

وعلى الرغم من أن فكر بن نبي قد حظي بعناية علمية معتبرة من زاوية مفاهيمه الحضارية الكبرى، إلا أن مواقفه وتحليلاته المرتبطة بالحركة الوطنية الجزائرية، في تنوّعها وتطوّرها، لم تزل بحاجة إلى مزيد من التأمل والدرس. ومن هذا المنطلق، تنبع أهمية العودة إلى مؤلفاته، قصد الوقوف على تصوّراته ومقارباته لمسار الحركة الوطنية، واستجلاء الأسس الفكرية التي انطلق منها في تقييمه لتجربتها. ومن هنا، تندرج هذه الدراسة التي وُسمت بعنوان: "مالك بن نبي والحركة الوطنية الجزائرية – قراءة في مؤلفاته"، سعيًا إلى فهم أعمق لموقفه من تيارات الحركة الوطنية ضمن أفقه الحضاري والفكري الأشمل.

1. دوافع اختيار الموضوع:

تتمحور دوافع اختيار هذا الموضوع حول انشغال معرفي عميق، يتجاوز مجرد الاهتمام الأكاديمي إلى التفاعل الوجداني والعقلي مع مشروع فكريّ أصيل شكّل علامة فارقة في الفكر الإسلامي المعاصر، وهو مشروع المفكّر الجزائري مالك بن نبي. فقد ظلّ فكر هذا الرجل، بما يتّسم به من شمولية في الرؤية وصرامة في التحليل، حاضنًا لسؤال النهضة وهادمًا للأطر الذهنية الجاهزة التي تعوّدت على تكرار المقولات بدل تفكيكها. وليس هذا الانجذاب الفكري إلى تراثه من قبيل الإعجاب العاطفي، بل هو ثمرة لتراكم تأملي ونقدي، أفضى إلى قناعة راسخة بأنّ أطروحاته تمثّل مفتاحًا لا غنى عنه لفهم الإشكالات الحضارية التي واجهت، ولا تزال، مجتمعنا الإسلامي الذي لا زال يعاني من تبعات الغزو الثقافي المدمر.

تعتبر محاولة تجديد زاوية النظر إلى مسار الحركة الوطنية الجزائرية دافعا آخر لتسطير هذا البحث، وذلك عبر الاستناد إلى مقاربة فكرية تتجاوز السرديات التاريخية المألوفة التي اختزلت هذا المسار في بُعده السياسي أو النضالي المجرّد. ذلك أنّ التكوين الأكاديمي المتخصّص في تاريخ الحركة الوطنية أتاح لنا الوقوف على ما يشبه

التكلّس المنهجي في دراسة هذه المرحلة، ما دفعنا إلى محاولة استكشاف منظور جديد، يجد في كتابات مالك بن نبي مدخلًا نوعيًا، يعيد تأويل اللحظة الوطنية في ضوء تحليل حضاري داخلي يلامس الجذور البنيوية للأزمة، ولا يكتفي بظاهر الأحداث وموازين القوى.

ومن هذا المنطلق، نأمل من خلال هذا البحث إلى تسليط الضوء على البعد الحضاري المغيّب في كثير من الدراسات التي تناولت الحركة الوطنية، وهو بعدٌ جوهري في فكر بن نبي، غير أنّه لم يُتناوَل بما يليق به من عمق وصرامة، إمّا بفعل هيمنة المناهج الوصفية أو نتيجة لغياب الحسّ النقدي البنيوي لدى أغلب المقاربات التقليدية. ولعلّ أهمّ ما يميّز هذه المقاربة هو سعيها إلى مساءلة الذات الوطنية من الداخل متمثلة في تيارات الحركة الوطنية، وهذا عبر استثمار أدوات بن نبي المفاهيمية في تفكيك بنية المجتمع المستعمَر، والكشف عن التواطؤ غير المرئي بين بعض النخب والنسق الاستعماري، لا على مستوى السياسة فحسب، بل على صعيد البنية الثقافية والمخيال الجماعي أيضًا.

يضاف لهذه الدوافع اعتبار المرحلة التاريخية التي يتناولها البحث تتّسم بثراء استثنائي، بما تحمله من تحوّلات فكرية ونضالية عميقة، تجعل من تحليل موقف مالك بن نبي تجاهها ضرورة علمية ملحّة، لا سيما بالنظر إلى قدرته الفذّة على الربط بين الفكر والواقع، بين المسألة النظرية والتجربة التاريخية. فقراءاته النقدية لما كان يجري في المجتمع الجزائري خلال حقبة الكفاح التحرّري لم تكن مجرد تنظيرات معزولة، بل كانت مساهمات تأسيسية في بلورة وعي حضاري جديد، يطمح إلى تجاوز اللحظة النضالية العارضة نحو بناء مشروع نهضوي دائم. من هنا، تتجلى الأهمية البالغة لهذا البحث، بوصفه محاولة لفهم التاريخ من داخل الفكر، واستنطاق الفكر من داخل التاريخ.

2. أهمية الموضوع:

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه لا يقتصر على استجلاء ملامح فكر أحد أبرز المفكرين الجزائريين، بل يتجاوزه إلى مساءلة هذا الفكر ضمن سياقه التاريخي الحي، من خلال ربطه بمسار الحركة الوطنية الجزائرية، بمختلف تياراتها وتناقضاتها. فالغاية من هذا الربط ليست عرضًا توفيقيًا بين بعدين متوازيين، بل محاولة للكشف عن قدرة المفاهيم الحضارية التي طوّرها مالك بن نبي، كمفهوم "الحضارة"، على مقاربة الواقع السياسي والاجتماعي الذي نشأ فيه وتفاعل معه. فبهذا المعنى، يصبح فكر مالك بن نبي أداة تحليلية لا تنفصل عن لحظتها التاريخية، بل تتفاعل معها وتُعيد تأويلها على ضوء رؤى نقدية متفردة.

ومن زاوية موازية، تبرز أهمية هذا البحث في كونه يسعى إلى تجاوز الطابع التقليدي الذي طبع غالب الدراسات التي تناولت فكر بن نبي، إذ غالبًا ما جرى التعامل مع مشروعه الحضاري على نحو تجريدي، معزول عن سياقه الوطني أو منفصل عن تفاعلاته الواقعية. في المقابل، يطمح هذا البحث إلى تقديم قراءة تحليلية تفكيكية

لمواقفه من التيارات الوطنية المختلفة، بما تحمله من تباينات فكرية واختلافات في المنطلقات والأهداف. وبهذا، فإنّ الموضوع لا يندرج ضمن مسعى تأريخي محض، بل هو محاولة لفتح أفق جديد في فهم فكر بن نبي، انطلاقًا من سيمياء مواقفه وصراعاته الفكرية مع محيطه السياسي والاجتماعي، في سعيٍ لاستعادة اللحظة الفكرية في بعدها الجدلي، المركّب، والناقد.

3. أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ثلة من الأهداف العلمية والمعرفية أبرزها ما يلي:

- تعميق الفهم لفكر مالك بن نبي من خلال تحليل مواقفه الفكرية من مختلف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، واستجلاء موقعه داخل الحقل الوطني، بما يتيحه ذلك من فهم أعمق لطبيعة رؤيته النقدية للتحولات السياسية والفكرية التي عرفتها تلك المرحلة المفصلية من تاريخ الجزائر.
- استخلاص الدروس الفكرية والسياسية الكامنة في تحليلات بن نبي، والسعي إلى تجاوز التوصيف التاريخي نحو بناء وعي نقدي قادر على استلهام مواقفه لفهم العلاقة بين الفكر والواقع، واستثمارها في مواجهة التحديات المعاصرة.
- استكشاف الخلفيات النظرية والمفاهيمية التي انطلق منها مالك بن نبي في مقاربته لمسار الحركة الوطنية، وخاصة مفاهيمه المركزية كـ"القابلية للاستعمار"، و"الفاعلية"، و"المركّب الحضاري"، بوصفها أدوات تحليلية تشكّل جزءًا من نسقه الحضاري الشامل.
- بيان خصوصية المشروع الفكري لمالك بن نبي داخل المشهد الثقافي الجزائري، وتمييز مقاربته الحضارية عن الأطروحات التي غلب عليها الطابع السياسي أو السجالي، من خلال الكشف عن رهان بن نبي على إصلاح البنية الحضارية كشرط لتحرّر الأمة واستعادة فاعليتها التاريخية.
- إبراز البُعد الاستشرافي في فكره، لا سيما وعيه المبكر باستمرارية الصراع مع المستعمِر عبر أدوات الغزو الثقافي والفكري، ومحاولة توظيف هذا الوعي في تحصين الأجيال القادمة، وربطها بسؤال النهضة في سياقه العميق.

4. الدراسات السابقة:

خلال عملية المسح البيبليوغرافي لما ألف حول هذا الموضوع تبين لنا أنّ الدراسات التي تخصصت بشكل مباشر في دراسة علاقة مالك بن نبي بالحركة الوطنية الجزائرية لا تكاد تذكر. وقد اقتصرت المادة المتوفّرة –حسب ما تيسّر الاطلاع عليه– على رسالة ماجستير بعنوان "مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة" أعدّها الباحث حسن موسى محمد العقبي بجامعة غزة -فك الله بالعز أسرها-، والتي عالجت هذه الدراسة جانبًا من فكر

بن نبي، مركزًا على القضايا الفكرية التي شغلت النخبة المسلمة في القرن العشرين، ومن ضمنها موقفه من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ورغم ما تضمّنته الدراسة من إشارات مفيدة، إلا أنّها لم تخصّص في معالجة تفصيلية لعلاقة بن نبي ببقية التيارات السياسية الوطنية، كما لم تتوسّع في تحليل رؤيته للحركة الوطنية بصفتها ظاهرة مركّبة، متعددة التيارات والأبعاد. ومن هذا المنطلق، تأتي هذه الدراسة لتسدّ هذا الفراغ المعرفي، من خلال تقديم قراءة شاملة لموقف بن نبي من مختلف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، وذلك عبر الاستناد إلى كتاباته الأصلية، ونقدها في ضوء السياق التاريخي والسياسي الذي أنتجها.

5. إشكالية الدراسة:

لم يكن انشغال مالك بن نبي بالحركة الوطنية انخراطًا مباشراً في تفاصيلها السياسية أو اصطفافاً مع تياراتها المختلفة، فقد وقف على تخوم الفعل السياسي، وكان أقرب إلى مراجعة نقدية تُعيد مساءلة هذا المسار من داخل مشروع حضاري متكامل، ينظر إلى النهضة باعتبارها فعلًا ثقافيًا وفكريًا سابقًا على الفعل السياسي ذاته. ومن هذا المنظور، بدا حضور بن نبي في المشهد الوطني حضورًا إشكاليًا، ينأى عن الحماسة الثورية والسياسية ليفتح أفقًا للتفكير في الشروط العميقة لأي تحرر حقيقي، متسائلًا – دون تصريح – عن جدوى الحركة الوطنية ما لم تكن متأصّلة في وعي حضاري يُعيد تشكيل الإنسان قبل المؤسسة، والفكرة قبل الخطاب. وعلى هذا الأساس، نحاول في هذا البحث تفكيك هذا التوتر الخفي بين الانتماء والمساءلة في فكر بن نبي، واستجلاء موقع رؤيته النقدية من مسار الحركة الوطنية بوصفها ميدانًا لاختبار مشروعه الحضاري ومساءلة محدودياته في آن واحد.

6. الإشكاليات الفرعية:

تتفرّع عن الإشكالية الرئيسة مجموعة من التساؤلات التي تسعى هذه الدراسة للإجابة عنها، وهي:

- كيف تفاعل بن نبي مع مختلف تيارات الحركة الوطنية؟ وما مواقفه من مشاريعها الفكرية والسياسية؟
- إلى أي مدى أثّرت التكوينات النفسية والفكرية لبن نبي في بلورة موقفه من النضال الوطني؟
- ما الذي قدمه بن نبي من انتاج معرفي يبرز فيه موقفه من الحركة الوطنية وتأثره بمخرجاتها؟
- ما مدى نجاعة الأدوات المفاهيمية التي استعملها بن نبي في تحليل بنية المجتمع المستعمَر، وفي نقد الحركة الوطنية؟
- ما طبيعة العلاقة التي ربطت مالك بن نبي بالحركة الوطنية الجزائرية؟ وهل كانت علاقة انخراط أم علاقة نقد ومساءلة؟

- هل يمكن اعتبار قراءة بن نبي للحركة الوطنية مشروعًا بديلًا للفعل السياسي التقليدي، أم هي مجرد مقاربة نظرية لم تخرج عن دائرة التنظير؟

7. المناهج المتبعة:

نظرًا لطبيعة الموضوع المركّبة، فقد احتجنا فيها إلى ثلة من المناهج لكننا اعتمدنا أساسا على المنهج التحليلي النقدي، من خلال تحليل النصوص الأصلية لمالك بن نبي، واستنطاق مفاهيمه المركزية المتعلقة بالحركة الوطنية الجزائرية، مع توظيف مناهج تاريخية أخرى كالسرد والوصف أحيانا لغرض استجلاء السياق الزمني والسياسي الذي ظهرت فيه هذه المواقف، كما نستأنس أحيانا أخرى بالمنهج المقارن عند دراسة رؤية بن نبي لتوجهات مختلفة داخل الحركة الوطنية، حتى نتمكن من بيان خصوصية موقفه منها، دون إغفال التأثير المتبادل بين الفكر والسياق.

8. خطة العمل:

تمّ تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول، جاء الفصل الأول بعنوان:" تيارات الحركة الوطنية الجزائرية" درسنا فيه الخلفية السياسية والفكرية للحركة الوطنية، من خلال استعراض أهمّ التيارات المؤثرة فيها، وهي: التيار الإصلاحي (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، التيار الاندماجي، التيار الاستقلالي، والحزب الشيوعي الجزائري.

الفصل الثاني بعنوان: "مالك بن نبي صورة حياة(1905-1973) " يعرض هذا الفصل السيرة الفكرية والشخصية لمالك بن نبي، من خلال مرحلتين أساسيتين: مرحلة الطفولة والنشأة(1905-1930) ، ومرحلة التكوين الفكري والنشاط النظري(1930-1963) .

جاء الفصل الثالث بعنوان: "الحركة الوطنية في فكر مالك بن نبي" يُفكّك هذا الفصل رؤية بن نبي النقدية لمكوّنات الحركة الوطنية، من خلال دراسة مواقفه من: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التيارات الإصلاحية والاستقلالية، وموقفه كذلك من الحركة الاندماجية والشيوعية.

9. نقد المصادروالمراجع:

إنّ التعامل مع كتابات مالك بن نبي وما كتب عنها -الذي غلب عليه الثناء والتمجيد- يقتضي تمحيص ومساءلة هذا الإنتاج المعرفي نقديًّا، والنظر في قيمته التوثيقية وصلته بالموضوع، ومدى تمثيله لرؤية فكرية أو مواقف معينة.

وقد شكّلت مؤلفات مالك بن نبي المصدر الأساس للدراسة، وذلك باعتبارها المعبر الأوحد لرؤيته للحركة الوطنية من الداخل، بصفته أحد الفاعلين فيها والمتأثرين بها، وإن على نحو فكريّ مستقلّ، ولعل أبرز مؤلفاته التي

قدمت لنا موقفه من الحركة الوطنية ما يلي:

- مذكّرات شاهد على القرن (الطفل – الطالب): يُعدّ هذا المؤلَّف من أبرز المصادر التي تمّ الاعتماد عليها في هذه الدراسة، ليس فقط لقيمته التوثيقية، بل لكونه يتضمّن سردًا ذاتيًّا مباشِرًا لمسار مالك بن نبي الفكري والنفسي. وقد استفدنا منه في تتبّع ملامح النشأة الأولى، والتكوين الثقافي المبكّر، إلى جانب المرحلة الباريسية التي كان لها أثرٌ بالغ في تشكيل وعيه السياسي والفلسفي. غير أنّ التعامل مع هذا المصدر اقتضى حيطة نقديّة خاصة، نظرًا لطبيعته كسيرة ذاتية، وما يطرحه من إشكالات في الانتقاء وإعادة تشكيل الذاكرة، بما قد يُخفي بقدر ما يُظهر.
- كتاب "العَفَن": يتّسم هذا النص بطابع نقديّ انفعالي حاد، حيث يوجّه بن نبي فيه سهام نقده إلى بعض التيارات السياسية، لا سيما التيار الاندماجي، بأسلوبٍ يصل إلى حدّ التهكّم والتفكيك الجذري. وقد استفدنا منه خصوصًا في تبيّن رؤيته الثقافية والاجتماعية للجماعات الاندماجية، وتحميله إيّاها مسؤولية تعثّر الوعي الوطني. كما استُخدم النصّ في تحليل موقفه من التيار الاستقلالي، وإن بدا الطابع الانفعالي للنص باعثًا على الحذر المنهجي عند التعامل معه، لتداخله الواضح بين التجربة الذاتية والحكم النظري.
- 3" .شروط النهضة": مثّل هذا العمل مدخلًا أساسيًّا لفهم موقف بن نبي من التيار الإصلاحي، ممثّلًا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وقد أتاح لنا تبيّن موقفه المركّب منها، بين التثمين لنشاطها في مقاومة التغريب، والنقد لمحدودية مشروعها الإصلاحي الذي اعتبره خطابًا دينيًّا لم يرقَ إلى مشروع حضاري شامل. ورغم أهميّة هذا المصدر، إلا أنّ قراءته تستلزم وعيًا بموقع بن نبي كفاعل فكري خارج الأطر التنظيمية الحزبية.

ومن أهم المراجع المعتمدة في هذه الدراسة مايلي:

- مولود عويمر، مالك بن نبي رجل الحضارة – مسيرته وعطاؤه الفكري: وفّر هذا الكتاب معالجة شاملة لمسيرة بن نبي، مركّزًا على علاقته بجمعية العلماء المسلمين، وعلى جوانب مهمّة من نشاطه الفكري في باريس ومصر، مما ساعدنا على فهم خلفيات بعض مواقفه التي لم ترد مفصّلة في كتاباته الخاصة.
- وثائق مالك بن نبي في الأرشيف الوطني الفرنسي، لرياض شروانة وعلاوة عمارة: يُمثّل هذا العمل التوثيقي مساهمة نوعية، إذ كشف عن أرشيفات أصلية تتعلّق بمالك بن نبي في الوثائق الفرنسية، مما أضاء بعض الجوانب الغامضة من نشاطه السياسي والفكري، لا سيما خلال إقامته بفرنسا، وتفاعله مع الإدارة الاستعمارية.
- مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة لحسن موسى العقبي: وهي رسالة ماجستير تناولت هذه الدراسة مواقف بن نبي الفكرية من قضايا معاصرة، وقد استفدنا منها خصوصًا في تحليل موقفه من جمعية

العلماء المسلمين. غير أنّها لم تُعط اهتمامًا كافيًا لمواقفه من بقية التيارات السياسية، ما دفعنا إلى توسيع المقاربة ضمن هذه الدراسة.

الفصل الأول:

تيارات الحركة الوطنية الجزائرية

مع تصاعد مظاهر التمييز العنصري والاستغلال التي مارسها الاحتلال الفرنسي في الجزائر مطلع القرن العشرين، بدأت ملامح الوعي الوطني في الجزائر تتبلور في أشكال متعددة من المقاومة، تجاوزت ردود الفعل العفوية إلى مواقف سياسية وفكرية أكثر تنظّمًا. وقد مثّل هذا التحوّل مقدّمة لظهور ما عُرف بالحركة الوطنية الجزائرية، التي بدأت معالمها تتضح منذ مطلع القرن العشرين، من خلال تشكّل عدد من الأحزاب والتنظيمات والتيارات الفكرية والسياسية، التي سعت إلى تمثيل الشعب الجزائري، والدفاع عن حقوقه، ومناهضة المشروع الاستعماري، كلٌّ من موقعه الإيديولوجي ورؤيته الخاصة.

وقد تنوّعت هذه التيارات في منطلقاتها ووسائلها، وتوزّعت بين الإصلاح الديني، والمطلب الإدماجي، والدعوة إلى الاستقلال، وحتى التوجّه الأممي، الأمر الذي أفرز فسيفساء سياسية تعكس تعددية الوعي الوطني في تلك المرحلة. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا الفصل إلى تقديم قراءة تحليلية لهذه التيارات، بالوقوف على أبرز مكوّناتها الفكرية والسياسية، ورصد الكيفية التي عبّرت بها عن رؤيتها لمواجهة الاحتلال، ومشروعها في بناء وطن حرّ ذي سيادة.

ولهذا قمنا بتخصيص هذا الفصل للتطرق إلى ما يلي:

1) **التيار الإصلاحي:**
   - 1.1. تأسيس جمعية العلماء المسلمين.
   - 2.1. أهداف جمعية العلماء.
2) **التيار الإدماجي:**
   - 1.2. نشأة التيار الإدماجي.
   - 2.2. مطالب التيار الإدماجي.
   - 3.2. برنامج الإدماجيين.
3) **التيار الاستقلالي:**
   - 1.3. تأسيسه.
   - 2.3. برنامجه السياسي.
   - 3.3. حزب الشعب الجزائري 1937.
4) **الحزب الشيوعي:**
   - 1.4. تأسيس الحزب الشيوعي الجزائري.
   - 2.4. برنامج الحزب الشيوعي.
   - 3.4. حل الحزب الشيوعي الجزائري.

1. التيار الإصلاحي:

1.1. تأسيس جمعية العلماء المسلمين:

نتيجة لتأثر النخب العلمية في الجزائر بالحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي وخصوصا المشرق حيث اكتسبوا تكوينا متينا بالجامعات الإسلامية، حرر هذه النخب كمبارك الميلي والعقبي مؤلفات قيمة فتحت أفاقا واسعة، وفي هذا الواقع الفاعل نشأت الحركة الإصلاحية بشكل رسمي تحت اسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين **(جيلالي و قداش، 1887، صفحة 245)** كان ذلك في 5 ماي 1931 بالعاصمة، والتي تكونت من 72 عالما جزائريا جاءوا من مختلف أنحاء الجزائر، ومن اتجاهات دينية **(أبو القاسم، 1992، صفحة 83)** مختلفة برئاسة عبد الحميد بن باديس وعضوية علماء أجلاء كالشيخ البشير الإبراهيمي[1] والطيب العقبي، مبارك الميلي، وكان ذلك ردا على الاحتفالات الفرنسية بمرور مئة عام من احتلال الجزائر وادعائها بأن الإسلام والعروبة قد اختفيا، وأن الجزائر أصبحت مقاطعة فرنسية وللأبد **(بورنان، 2004، الصفحات 24-25)**.

تعد الجهود التي بذلها العلماء خلال فترة العشرينيات في مسار إصلاحي موحد دليلا واضحا على وحدة التفكير الإصلاحي لديهم، إذ تكاملت مساعيهم في اتجاه واحد يهدف إلى إحياء القيم الدينية والتصدي للتغريب والنهوض بالمجتمع الجزائري، حيث ركز الشيخ عبد الحميد بن باديس على إصلاح التعليم، واتخذ من مدينة قسنطينة منطلقا لنشاطه التربوي والتوعوي، ومبارك الميلي ساهم في ترسيخ دعائم التعليم ونشره في مدينة الأغواط، والعقبي وخير الدين ساهما بالوعظ والإرشاد الديني في بسكرة، والشيء نفسه قام به المولود الحافظي في نواحي مدينة سطيف **(مريوش، 2007، صفحة 137)**، معظم أعضاء هذه الجمعية من المصلحين، فكانت دينية تهذيبية لا شأن لها بالسياسة، بل كان اهتمامها ينصب على التعليم وتوعية الجماهير الشعبية من خلال تأسيس المدارس وبناء المساجد والتصدي لجميع مظاهر الحياة الغربية ومظاهر انسلاخ المجتمع الجزائري عن دينه الإسلامي كون رسالتها تتمثل في إعادة بناء الهوية الوطنية التي عملت على نشره على أوسع نطاق ممكن، إضافة إلى محاربة الخرافات والبدع وتنقية الدين مما علق به من شوائب.

2.1. أهداف جمعية العلماء:

لخص أحد أعضاء الجمعية عام 1935 أهدافها في إحياء الإسلام عن طريق إحياء القرآن والسنة واللغة العربية **(أبو القاسم، 1992، صفحة 86)**، وأيضا المحافظة على الشخصية الوطنية المهددة بالإدماج والفرنسة والتجنيس، كل هذا بهدف إلحاق الجزائر بفرنسا والقضاء على الوجود الجزائري، ومن أجل أداء رسالتها وتحقيق أهدافها أسست الجمعية المدارس الحرة في مختلف أنحاء الجزائر لتعليم الناشئة اللغة العربية والدين الإسلامي،

[1] البشير الإبراهيمي: هو محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر الابراهيمي ولد في 13 جوان 1889، كان نائبا لرئيس الامام عبد الحميد بن باديس من يوم تكونت الجمعية إلى غاية وفاته، فانتخب رئيسا للجمعية أسس حوالي 70مدرسة حرة عربية في كافة القطر، وللمزيد من المعلومات أنظر: **(من أنا، 2018، الصفحات 2-13)**.

ومنذ تأسيسها خاضت الجمعية معتركا سياسيا معقدا تميز بكثرة التحديات والمخاطر، فقد ركزت جهودها في البداية على مناهضة التيارات الاستعمارية، ثم واصلت نضالها في مواجهة مختلف أشكال الانحراف الفكري والممارسات المبتدعة، التي كانت تهدد الهوية الدينية والثقافية للمجتمع الجزائري **(تركي، د.ت، صفحة 92)**.

أدركت جمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسها في سنة 1931 أن المعركة ضد الاستعمار الفرنسي لم تكن فقط بالسلاح بل كانت أيضا معركة فكر ووعي، حيث أسست الجمعية النوادي الثقافية لتنظيم الشباب وتربيتهم تربية دينية ووطنية واهتمت أيضا بالوعظ والإرشاد في المساجد والمدارس **(بورنان، 2004، صفحة 26)**، من بين أهم النوادي: نادي الترقي الذي تأسس بالجزائر سنة 1927، والذي أدى دورا ثقافيا وسياسيا خلال فترة الثلاثينات **(العقاب وشلغوم، 2023، صفحة 11)**، إضافة إلى النادي الإسلامي بمنطقة الجلفة الذي لعب دورا هاما في نشر العمل الإصلاحي بتنشيط الشيخين عبد القادر بن إبراهيم المسعدي ومعينه الشيخ محمد الرايس لعدة محاضرات وخطابات مهمة حول الإصلاح استفاد منها شباب المنطقة **(نازه، 2020، صفحة 404)**.

اعتمدت الجمعية أيضا على الصحافة كوسيلة لنشر مبادئها الإصلاحية والدينية تصديا للجهل والبدع ومحاولات طمس الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، حيث كانت الجرائد لسان حالها ومنابر تواصلها مع الشعب ومن أهمها: جريدة البصائر التي كانت تصدر في الجزائر منذ 1936 وهي الصحيفة الرسمية للجمعية، إذ حلت مكان العديد من الصحف التي كانت الجمعية قد أصدرتها قبل هذا التاريخ وأوقفتها السلطة الاستعمارية مثل: الصراط 1934 -1933 وصدى الصحراء 1934 **(عبد الرحمن، 1985، صفحة 38)**، هي اللسان المركزي لجمعية العلماء المسلمين تحمل في صدر صفحاتها الأولى العروبة والإسلام، وذلك بتقديم لفظ العروبة على لفظ الإسلام لأن العربية هي لغة الدين الإسلامي، وطبقا لشعارها الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا، وهي المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية ماضيا وحاضرا ومستقبلا، فقد ناضلت جمعية العلماء نضالا متواصلا لا تراجع فيه ضد كل ما يمس مقومات الشخصية الوطنية من قريب او من بعيد، لذلك حاربت التنصير والفرنسة والتجنيس والاندماج مع فرنسا **(عمامرة، 2004، صفحة 34)**.

ومن أجل وصول هذه الجمعية إلى أهدافها النبيلة اعتمدت الوسائل التالية: **(عمامرة، 2004، صفحة 60)**

- ← القاء المحاضرات التهذيبية؛
- ← نشر الجرائد والمجلات؛
- ← تأسيس النوادي لتثقيف الشباب الجزائري؛
- ← تأسيس المدارس لأبناء الجزائريين لتعلم لغتهم الأساسية.

لا يمكن إنكار أن أهداف الجمعية لا تقتصر على اتجاه واحد، حيث إدعى قادتها بأنها جمعية دينية تهدف لتهذيب الجزائريين وتعليمهم وفق القيم الإسلامية بطريقة تتماشي مع المدنية الفرنسية، إلا أن هذا النضج لم يكن

إلا غطاء بسيطا يخفي الأهداف الحقيقية التي كانت في جوهرها ذات طابع سياسي **(بصفصاف، د.ت، صفحة 100)**.

يدعم هذا الرأي ما تعرض له زعماء الجمعية من اضطهادات شملت الزج بهم في السجون وتقديمهم للمحاكمات مع توجيه مختلف الاتهامات لهم، حيث يمكن تلخيص برنامج جمعية العلماء في هدفين رئيسين أولهما فوري والآخر بعيد المدى، يتمثل الهدف الأول في تنقية الدين الإسلامي من الشوائب التي لحقت به ومحاربة تأثير الزوايا وإحياء العربية عبر المدارس والمساجد، أما هدفها الثاني فقد تمثل في استعادة السيادة الوطنية وتأسيس دولة عربية إسلامية، وقد تجلى هذا الهدف في مناسبات عديدة أظهرت فيها قيادات الجمعية رؤية بعيدة المدى للمستقبل، فكانت الغاية من وجودها الحفاظ على الهوية الوطنية **(بصفصاف، د.ت، صفحة 101)**، مما يؤكد على أهمية وخطورة جمعية العلماء موقف الإدارة الاستعمارية من عملها ورجالها، فقد سلكت كل السبل لتحطيمها وعرقلة نشاطها فأغلقت مدارسها وعطلت صحفها ولاحقت بالسجن والتغريم معلميها، وأوصدت المساجد الحكومية في وجه وعاظها **(بورنان، 2004، صفحة 30)**.

كل هذه الإجراءات لم تضعف من عزيمة العلماء ولم تباعد بين الجمعية والشعب، الذي كان يزداد إقبالا على التعلم في مدارسها، فظلت الجمعية صامدة تؤدي رسالتها الإصلاحية إلى حيث اندلاع الثورة التحريرية فبعضهم حملوا السلاح إلى جانب إخوانهم المجاهدين والبعض الآخر واصلوا جهادهم الفكري والعلمي تحت لواء جبهة التحرير الوطني **(بورنان، 2004، صفحة 31)**.

استفادت الحركة الوطنية بشكل كبير من نشاطات الإصلاحين في عدة مجالات، حيث أسهمت هذه النشاطات في إيقاظ العقول وتحريرها من الجهل والخرافات التي سعت السلطات الاستعمارية إلى نشرها، كما ساعدت في الحفاظ على الإسلام والهوية الوطنية.

كما ساهمت الحركة الإصلاحية في نشر التعليم وإنشاء المدارس والمساجد لتشكيل نخبة من المثقفين، كما أصدروا الصحف التي ساهمت في توعية الجماهير ونشر الأفكار الإصلاحية.

2. التيار الإدماجي:

1.2. نشأة التيار الإدماجي:

مثل هذا الاتجاه ثلة من الطبقة المثقفة المعروفة بجماعة النخبة، وهم مجموعة الشباب خريجي الجامعات الفرنسية والمتأثرون بثقافة الفرنسية **(بورنان، 2004، صفحة 31)** الذين تمكنوا بفضل عملهم السياسي أن يرتقوا فوق العامة ويتركزوا في الجزائر حاملين الحضارة بجدارة **(بن حبيس، 2012، صفحة 139)**.

ظهرت بداية القرن العشرين وبرز أعضائها في الدعوى لفكرتهم، عن طريق الصحافة والمجالس النيابية التي تمكنوا من الوصول إليها عن طريق الانتخابات.

يعتقد أنصار هذا الاتجاهان الإدماج هو الحل الأمثل لتخلص من سيطرة المستوطنين والقوانين الاستثنائية الجائرة التي كانت تحول دون تمتع الفرد الجزائري بصفة المواطنة الفرنسية وما يترتب عنها من حقوق، لذلك فقد تجسد مطلبهم الرئيسي في منح الجنسية الفرنسية للجزائريين والمساواة مع الفرنسين في الحقوق والواجبات من تعليم وتمثيل نيابي مع الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية الإسلامية.

من أبرز رجالات هذا التيار خلال العشرينات بلقاسم بن التهامي صاحب جريدة صوت الأهالي وهما من أنصار الإدماج التام مع فرنسا دون أي قيد أو شرط (بورنان، 2004، صفحة 32)، بالإضافة إلى فرحات عباس[1]* الذي تأثر بشكل كبير بالثقافة الفرنسية، ويؤمن بأن فرنسا هي القادرة على جلب الحضارة والتمدن إلى الجزائريين الذين يعيشون الهمجية والتخلف، وبمجيئ فرنسا حملت لهم أنوار التحضر، اعتقد أن إدماج الجزائر في فرنسا هو السبيل الذي سيخلص الشعب الجزائري من هيمنة النظام الاستعماري وسيطرة وتسلط المستوطنين، لذلك كان مطلب فرحات عباس تحقيق المساواة التامة بين الجزائريين والمستوطنين **(بورنان، 2004، صفحة 75)**.

هذا الحزب يعرف بفدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين، والذي تم تأسيسه في 11 سبتمبر 1927 بالجزائر العاصمة بين 1919 و1927، لم يكن هناك تنظيم رسمي يمثل مصالح هذه الجماعة سوى جماعة النخبة، والتي كانت تختار من طرف الإدارة الاستعمارية بعناية **(أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، 1992، صفحة 151)**، كان عدد هذه الفئة قليلا لم يتجاوز 1200 عضوا من أعضاء حركة الشبان الجزائريين المنخرطين في نواديهم مطلع القرن العشرين، والتي قبل أعضائها التجنيس والتخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية.

2.2. مطالب التيار الإدماجي:

برزت النخبة الاندماجية التي تمثلت في فئة من المثقفين والسياسيين الذين تبنوا خيار الاندماج من خلال المطالبة بمجموعة من المطالب التي تهدف إلى تحقيق الانخراط الكامل في الدولة الفرنسية.

مطالب النخبة الاندماجية كما ورد في المذكرة التي قدمتها إلى الحكومة الفرنسية في 18 جوان 1912 نقلا عن بن حبيلس وهي: **(بلاح، د.ت، صفحة 330)**

- ← إلغاء القوانين الاستثنائية والمحاكم الرادعة؛
- ← تمثيل حقيقي للجزائريين؛
- ← توزيع عادل لضرائب؛

[1] **فرحات عباس :** من مواليد 1899م، يعتبر من الشخصيات البرزة في الساحة السياسية الجزائرية، كان يطالب باندماج الجزائر مع فرنسا، وتمثيل الجزائريين المسلمين ، وكا ينتمي إلى حركة الشباب الجزائريين، كان يكره العنف ويؤمن بسياسة المراحل ومسايرة الظروف، وقد استهوته الحضارة الفرنسية، فصرح عام 1931م أن الجزائر فرنسية، وللمزيد من المعلومات أنظر: **(بوحوش، 1997، صفحة 231)** .

← التمثيل المتساوي للميزانية بين الجزائريين.

إن نشأة هذا الحزب يربطه بعض الكتاب بانتخابات 1919، ففي ذلك التاريخ انقسمت جماعة النخبة إلى جناحين ناديان بأهداف مختلفة **(بورنان، 2004، صفحة 289)**، كان سبب هذا الانقسام هو الاندماج أي الخلاف حول ما إذا كان يجب المناداة بضم الجزائر إلى فرنسا أو الاحتفاظ بها كيانا منفصلا، لكن هذا لا يعني فصل الجزائر عن فرنسا.

لقد تطورت الحركة الاندماجية بعد سنة 1919 في اتجاهين متباينين، فدعاة التجنيس ابن تامي قد تراجعوا، مما أفسح المجال لتيار أكثر قومية بزعامة الأمير خالد الذي يطالب بالمواطنة الفرنسية في حدود الإسلام، كان خالد يريد تجسيد الاستمرارية الجزائرية مستعملا الأفكار الجديدة للدفاع عن الماضي، فتعريفه للشخصية الجزائرية وأسلوبه السياسي ينبأ بظهور ابن باديس وجمعية العلماء **(حربي، 1994، صفحة 108)**.

تواصلت الحركة الاندماجية وتوسعت داخل فيديرالية المنتخبين التي كان يشغلها ابن جلول بالتعاون مع فرحات عباس، وبلغت هذه الحركة ذروتها عندما حظيت بدعم الحزب الشيوعي الجزائري والعلماء. لكن مشروع بلوم فيوليت الذي اعتمده الاندماجيون للتجمع داخل المؤتمر الإسلامي كان مآله الفشل، وبذلك تكون الجبهة الشعبية الفرنسية، قد وجهت ضربة قوية لتلك النخب التي ارتضت بمفهوم المواطنة الفرنسية مقابل قطيعتها مع الشعب الجزائري الذي تنتمي إليه فكانت نكسة لن تقوم للتيار الاندماجي بعدها قائمة **(حربي، 1994، صفحة 109)** القصة تمثلت فيما إذا كان يجب الإسراع في الاندماج لتحقيق المساواة مع الفرنسين أو يجب الإصرار على تحقيق المساواة بينهم مع الحفاظ على الأحوال الشخصية للجزائريين.

هذا الاتجاه يدعو إلى الاندماج الرسمي في الحالة المدنية، ويعني هذا التمتع بمختلف الحقوق السياسية والثقافية التي تسمح بها القوانين الفرنسية للمواطنين الفرنسين، حتى لو أن الاندماج يتحقق بصفة تدريجية وبشروط معينة، وكانت تمثل هذا الاتجاه مجموعة صحف منها الإسلام والراشدي **(إحدادان، 2012، صفحة 35)**، والإقدام، وصوت الأهالي.

كانت التيارات الجزائرية الأخرى كالإصلاحين والاستقلالين يرون أن الإدماج هو تخل عن دينهم ووطنيهم، وبالتالي فقدانهم أغلى ما يتمسكون به، لذلك فقد رفضوا هذا الاتجاه رفضا قاطعا، وهذا ما عبر عنه ابن باديس بأن الجزائر ليست فرنسا ولن تصبح فرنسا ولن تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت **(بورنان، 2004، صفحة 33)** الجزائر ليست فرنسية والوطن الجزائري والأمة الجزائرية كانت موجودة منذ القدم أي قبل وجود فرنسا، كما أن الجزائر تقع في قارة وفرنسا في قارة آخرى، والجزائر أمة مسلمة وليست فرنسا في شيء من ذلك **(الورتلاني ، 2009، صفحة 64)**، ثم إن القانون العام الذي يحكم الجزائريين فهو قانون خاص بهم يعرف بقانون الأهالي، وهذا القانون لم تعرف العصور مثله، أما لغة الجزائريين فهي العربية وهي اللغة المتوارثة، فقد كان القانون الفرنسي

يعتبرها لغة أجنبية ثانية وفي وطنها الأصلي، وهكذا كانت الأوضاع الأخرى تتمتع بلا مساواة بين الجزائريين والفرنسين في أبسط الأشياء **(الورتلاني ، 2009، صفحة 66)**.

3.2. برنامج الإدماجيين:

إن برنامج الإدماجين جدير بالاهتمام والذي كان يعلن عنه في صحيفة التقدم، ومن بين هذه المطالب التمثيل النيابي للجزائريين في المجلس الوطني الفرنسي، والمساواة بين الجزائريين والفرنسين في الخدمة العسكرية وتطوير التعليم للجزائريين وإعادة النظر في نظام الانتخابات، والملاحظ أن هذه المطالب هي المطالب نفسها التي نادى بها الجزائريون قبل الحرب العالمية الأولى **(أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1954)، 1992، صفحة 34)**.

لقد رفض المستوطنون الإدماج والمساواة بسبب النظرة الدونية المحلية فيفقدون، بذلك السيطرة التي كانوا يحظون بها، فيتساوون في الحقوق والواجبات مع الجزائريين.

مع اندلاع الحرب العالمية الثانية توقفت كافة الأنشطة التي كانت تمارسها الأحزاب السياسية، حيث فرض الحظر على مشاركتها في أي فعاليات سياسية أو جماهيرية، ولكن مع نزول الحلفاء في الجزائر عام 1942 أصبحت تلك اللحظة فرصة للنخبة الوطنية للتعبير عن طموحات ومطالب الشعب الجزائري، حيث كلف فرحات عباس بصياغة هذا البيان، حيث أرسل عام 1943 إلى الحكومة الفرنسية، ويلاحظ في هذا البيان تخليه عن فكرة الاندماج لصالح تبني دستور خاص بالجزائر وعقب إرسال البيان إلى الحكومة الفرنسية، قام فرحات عباس عام 1944 بتأسيس جمعية أصدقاء البيان والحرية من أجل الدفاع عن البيان، فبمجرد إنشائها انضم إليها أكثر من نصف مليون طالب، وأصدر عباس صحيفة تعبر عن المساواة، وهنا برزت أحداث الثامن من ماي 1945 بوجهها الدامي على الساحة الوطنية، والتي كانت الضربة الصادمة والموقظة لأولئك الذين كانوا ينتظرون الحرية والمساواة من فرنسا، وقد كانت هذه الاحداث كصاعقة لفرحات عباس، حيث فقد الأمل في نوايا فرنسا التي قامت باعتقاله عشية هذه الاحداث **(قليل، 2013، صفحة 132)**.

بعد الحرب العالمية الثانية تطور هذا التيار في إطار الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي طالب بتأسيس دولة جزائرية مستقلة ذاتيا وتابعة فدراليا لفرنسا **(بورنان، 2004، صفحة 34)**، حيث تم انتخابه كعضو في البرلمان التأسيسي الفرنسي الثاني، فقام بتوجيه تحذير حازم للحكومة الفرنسية بشأن العواقب الوخيمة الناجمة عن استهتارها وعدم احترامها لحقوق الجزائريين، حيث قال انها فرصتهم الأخيرة والجزائر هي أخر سد، وكان يقصد بذلك أن الشعب الجزائري سيلجأ إلى الكفاح الثوري المسلح لإعادة حقوقه، لكن فرنسا لم تأخذ هذا التحذير على محمل الجد، وشرح سياسته الجديدة مبديا تأثره الكبير بمجازر 8 ماي 1945، حيث أقر بانه لا يريد تنصيب سيد جديد ولا إلى انفصال، بل غايته إبراز شعب فتي طامح لإثبات وجوده وإنشاء دولة فتية تقودها

المبادئ الديمقراطية الفرنسية، وهذه هي الصورة التي كنا نحلم بها، وهذا ما كانت تسعى إليه حركتنا لبعث الجزائر **(لهلالي، 2022، الصفحات 330-350)**.

وفي عام 1951 انضم فرحات عباس إلى الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها، والتي كانت تضم حركة الانتصار وجمعية العلماء المسلمين والحزب الشيوعي، ولكن هذه الجبهة لم تدم طويلا إلا أن تطور الأحداث وتطور الوعي الشعبي جعل فرحات عباس يتيقن بأن الكفاح المسلح هو الحل الوحيد ليلبي نداء جبهة التحرير الوطني ويلتحق مع أفراد حزبه للجبهة **(قليل، 2013، صفحة 133)**.

لقد استفادت الحركة الوطنية من التيار الإدماجي في عدة جوانب، فقد ركز على المطالبة بحقوق السياسية للجزائريين ضمن الإطار الفرنسي، مما ساهم في كسر حاجز الصمت السياسي وفرض القضية الجزائرية، إضافة إلى تشكيل نخبة مثقفة حملت على عاتقها الدفاع على الجزائريين والتمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي والمجالس النيابية، إضافة إلى مساهمته في نشر الوعي الوطني والسياسي من خلال الصحف التي أنشأها.

3. التيار الاستقلالي:

1.3. تأسيسه:

ظهر هذا التيار باسم نجم شمال إفريقيا، والذي قام على أيدي العمال المغتربين بالمهجر، واكتسب طابعا عماليا، وأصبح يمثل الطبقة العاملة المهاجرة التي تأثرت بالأجواء العالمية التي كانت تسود أوروبا آنذاك، والتي حملت أفكارا تحررية حيث ترأسه في البداية الحاج علي عبد القادر، وكان ينشط في مقر الحزب الشيوعي الفرنسي **(قنانش، 1982، صفحة 31)**.

كانت باريس بمثابة الجنة للجزائريين الذين تواجدوا فيها منذ عقود طويلة، إضافة إلى الجنود المسرحين واللاجئين السياسيين، الذين نظموا سلسلة من الحملات ضد الحكم الفرنسي في الجزائر فبتعاون مع قادة شمال افريقيا والأوربيين نظم الجزائريون في فرنسا تجمعات سياسية وشكلوا المنظمات الاجتماعية والمدنية وخلفوا ووزعوا الصحف الوطنية **(أبو القاسم، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1945)، 2005، صفحة 272)**.

كان الجزائريون في فرنسا يتمتعون بالحرية السياسية والقدرة على إنشاء الأحزاب والتعبير عن أراءهم على عكس الجزائر التي خضعت لمراقبة مشددة وتضييق كبير من قبل السلطات الاستعمارية، حيث يعد الأمير خالد من أوائل الشخصيات التي جسدت هذا التوجه، إذ بادر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بتأسيس حركة سياسية تهدف إلى المطالبة بحقوق الشعب الجزائري، وقد أثمرت جهوده بين صفوف المهاجرين عن تنامي الوعي الذي أدى لاحقا إلى تأسيس نجم شمال إفريقيا في مارس 1926 بالعاصمة باريس **(بورنان، 2004، صفحة 19)**، هذه الحركة بدأت بمبادرة مجموعة من أبناء شمال إفريقيا، وكان أغلبهم من الجزائر وأعلن عن الأمير خالد رئيسا شرفيا لها كان الهدف الأساسي للنجم هو الدفاع عن الحقوق المعنوية والمادية لسكان شمال إفريقيا الذين كانوا يعيشون في

فرنسا، فحتى عام 1930 كان اتصال النجم والجماهير داخل الجزائر محدودا للغاية، لكنه استفاد من دعم اليساريين الفرنسين والأوربيين إلى جانب المنظمات المعادية للإمبريالية وتحقيق استقلال كامل لشمال إفريقيا، أما أعضائه البارزون من الجزائريين في الإدارة، فقد شملوا محمد جفال، وحاج علي عبد القادر، ومصالي الحاج، كانت نشاطات النجم تتمثل في توزيع المنشورات والكتابة الصحفية وعقد المؤتمرات، فكانت طريقته ثورية ومباشرة، وذلك من أجل التعريف بقضاياهم وإيصالها للعالم **(أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، 1992، صفحة 373)**.

نجم شمال إفريقيا لم يكن في بداياته تنظيما حزبيا بمعناه الكامل، بل كان وفقا لما أشار إليه محمد راجف عبارة عن تنظيم بسيط يهدف لاستقطاب الشيوعين والديمقراطيين الوطنيين الذين لهم غاية مشتركة وهي محاربة الامبريالية، وبناءا على التوجه الوطني للنجم فإنه يسعى وفق رؤية مؤسسيه ذوي التوجه الشيوعي إلى تعزيز الحركة الوطنية الناشئة وتوجيهها نحو رؤية سياسية اشمل بهدف إحداث خرق في هيكل الكتلة الاستعمارية الإمبريالية بشمال إفريقيا **(بن خدة، 2012، صفحة 67)**.

فقد كان مؤسسي النجم محدودي الثقافة ينتمون لأوساط اجتماعية متواضعة، أما ما يميز هذه العناصر فهو اختلاف تشبعهم بالشيوعية، وهو ما أدى إلى أول اضطراب داخلي في صفوف النجم قبل مرور عام من تأسيسه، وذلك في نوفمبر عام 1927 خلال الاجتماع العام أين اتضحت ميول الشيوعية لدى الحاج علي بشكل واضح، واتضحت التوجهات الوطنية لدى مصالي الحاج وبانون أكلي وبرز الخلاف بينهما حول تحديد مسار النجم خاصة خلال الاجتماع العام الذي عقد في 5 فبراير 1928 الذي نتج عنه استقالة الحاج علي من الجمعية، حيث فقد اهتمامه بها تماما، بعدها بدأ الحاج علي وأصدقائه الذين كانوا يحملون توجهات شيوعية في الانسحاب تدريجيا من الجمعية واحدا تلو الاخر حتى غادر اخر فرد منهم سنة 1932 بناء على توجيهات الحزب الشيوعي.

يبدو أن الاختلاف في وجهات النظر من ناحية وحل السلطات الاستعمارية لنجم في 20 نوفمبر 1929 من ناحية أخري، قد أدى إلى انسحاب بعض الرواد السياسيين للنجم، فبعد عام 1929 لم يتبق في النجم سوى أفراد قلائل منهم مصالي الحاج وسي الجيلاني ومحمد السعيد الذين وجدوا أنفسهم مضطرين للعمل من أجل الحفاظ على النجم من خلال تنظيم جديد **(زوزو، 2007، صفحة 63)**.

2.3. برنامجه السياسي:

كون النجم هو الممثل الحقيقي لمصالح الجماهير العمالية في منطقة شمال إفريقيا فإنه يطالب بتحقيق المطالب التالية لصالح الجزائريين: **(قنانش و قداش، نجم الشمال الإفريقي (1926-1937)، د.ت، صفحة 48)**

- استقلال الجزائر التام؛
- جلاء القوات الاحتلال الفرنسية؛

- تأسيس جيش وطني؛
- احترام الأملاك الفلاحية الكبيرة التي استولى عليها الاقطاعيون عملاء الإمبريالية؛
- الإلغاء الفوري لقانون الإنديجينا؛
- خلق المدارس بلغة العربية.

هذه المطالب لا يمكن تحقيقها إلا إذا وصل الجزائريون إلى مستوى عال من الوعي الوطني، وذلك من خلال اتحادهم وتكاتفهم حول هذه المنظمات السياسية **(قنانش و قداش، نجم الشمال الإفريقي (1926-1937)، د.ت، صفحة 49)**، وبعض هذه المطالب كان يحمل طابعا ثوريا ويمثل انطلاقة جديدة في مسار تحرير الجزائر، فلا شك أن استقلال البلاد، وتشكيل جيش ومجلس وطني، وإجراء الانتخابات عن طريق التصويت العام كانت من أبرز الأمثلة على هذه النقلة النوعية، ونتيجة لهذا الزخم الوطني الواضح أصبح الشيوعيون على حذر من النجم، كما أن الفرنسيون أصبحوا يقظين تجاه المطالب التقدمية التي رفعها النجم، ولم ينتظروا طويلا فبدوءا أولا بمحاولة تعطيل جهود قادة النجم ونشراته ليقرروا حله عام 1929.

عقد وفد النجم لشمال افريقيا إلى مؤتمر بروكسل اجتماعا في باريس، حيث قدم تقريرا مفصلا حول نشاطاته لمهاجري شمال افريقيا، حيث أوضح الوفد أن المؤتمر شكل خطوة واضحة ومهمة نحو تحقيق الهدف الوطني، وأنه تبنى برنامجه بدقة مشيرا إلى أن حركة الحزب ليست قصيرة الأمد او حركة متعاونة، بل هي حركة لها أبعاد عميقة مستمرة تقوم على كاهل الجماهير المستغلة والمضطهدة **(أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، 1992، صفحة 379)**، ولتعزيز نشاطه وإثراء جهوده قام النجم خلال عامي 1927 و1929 بتوقيع برنامج يهدف إلى توعية الجماهير وإضعاف السيطرة الفرنسية في الجزائر بشكل خاص وشمال افريقيا بوجه عام، ففي جوان 1927 تم توزيع منشور بعنوان إلى إخواننا في المغرب والجزائر وتونس، حيث دعا فيه المغاربة إلى استئناف القتال بين القوات الريفية من جهة والقوات الفرنسية والإسبانية من جهة أخرى، أما الجزائريون والتونسيون فقد تضمن المنشور دعوة موجهة إليهم تنص على إعلان حقوقهم وضرورة النضال لتحصل على حريتهم السياسية وعلى تحسين أوضاعهم، ففي عام 1928 أصدر حزب النجم بيانا دعا فيه الشعب الجزائري إلى عدم الانصياع ليصبح أداة تخدم الإمبريالية الفرنسية، كما حث البيان جميع الشعوب الإفريقية على توحيد صفوفهم لتشكيل جبهة مشتركة مناهضة للاستعمار، وفي سياق ذاته وجه الحزب انتقادا شديدا للحزب الدستوري التونسي بسبب سياسته القائمة على الصمت معتبرا أن هذه السياسة لا تخدم القضية الوطنية، فقد خص النجم بالهجوم الخونة والموالين من الجزائريين الذين كانت تستغلهم الامبريالية، ومن بين هؤلاء كان ابن التهامي حيث طالب النجم الجماهير بوجوب توحيد الجهود والنضال ضد الامبريالية الفرنسية لان هذه الطريقة الوحيدة لتحقيق أهداف الحزب، حيث دعا المنشور الجزائريين للانضمام إلى نجم شمال إفريقيا،

بهدف إحياء مطلب استقلال الجزائر وعشية الاحتفال بالاحتلال وبسبب نشاط النجم الحازم والمعارض للاستعمار قررت السلطات الفرنسية **(أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، 1992، صفحة 382)** حله، ففي الواقع لم تكن هناك أي اتهامات واضحة أو محددة ضد المنظمة، ففي 20 نوفمبر 1929 أصدرت محكمة الجنح في السين قرار الحل، لكنها تراجعت عنه لاحقا وألغته في 4 جويلية 1935 مبررة ذلك بأن قرارها الأول كان غير قانوني، وهكذا فإنه نتيجة لقرار سنة 1929 اضطهد زعماء النجم ومنعت جريدته من الصدور **(بورنان، 2004، صفحة 22)**.

3.3. حزب الشعب الجزائري 1937:

عمل التنظيم على تجديد نفسه مرارا وتكرارا بأسماء متعددة، حيث عرف في البداية باسم نجم شمال إفريقيا المجيد، ثم تحول لاحقا إلى الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا، وفي عام 1937 أعيد تشكيله ليحمل اسم حزب الشعب الجزائري، ثم نقل هذا الحزب إلى الجزائر يوم 12 مارس من نفس العام تحت قيادة مصالي الحاج الذي انتقل به إلى الجزائر في شهر جوان، ومع ذلك فقد تعرض مصالي للاعتقال في 27 أوت من العام نفسه بتهمة إثارة الفوضى والتشويش وإعادة تنظيم نجم شمال إفريقيا الذي تم حله سابقا لتآمره على السلطة **(الخطيب، 1986، صفحة 132)**.

رشح الحزب مصالي[1] وهو في السجن لعضوية مجالس المقاطعات خلال الانتخابات التي جرت في 18 و25 أكتوبر 1937 عن العاصمة وضواحيها، لكن السلطات الاستعمارية قضت بعدم أهليته للمشاركة في الانتخابات، مما أدى إلى إلغاء ترشيحه، وفي تاريخ 5 نوفمبر 1937 صدر حكم بسجنه لمدة عامين مع حرمانه من جميع حقوقه السياسية وقضي فترة عقوبته في سجن الجزائر.

في جانفي 1938 أوضحت جريدة الأمة من جديد برنامج حزب الشعب الذي كان كالتالي:

1.3.3. المجال السياسي:

- إلغاء قانون الأهالي وكل القوانين الاستثنائية؛
- منح الحريات الديمقراطية وحرية الصحافة وإنشاء الجمعيات؛
- حرية السفر إلى الخارج؛
- فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية **(قداش، 2008، صفحة 731)**.

[1] **مصالي الحاج:** هو أحمد مصالي من مواليد 16 ماي 1998 بتلمسان، والده الحاج أحمد وأمه فطيمة صاري على الحاج الدين، عين رئيسا لنجم شمال إفريقيا عام 1926 الذي تحول إلى حزب الشعب الجزائري، ثم حركة الانتصار الحريات الديمقراطية، وللمزيد من المعلومات أنظر: **(مجهول، 2007، صفحة 9)**.

2.3.3. المجال الاجتماعي:

- ترقية التعليم باللغتين العربية والفرنسية؛
- التعليم الإجباري للغة العربية لكل السكان؛
- تضييق كل القوانين الاجتماعية؛
- حماية الطفولة.

3.3.3. المجال الاقتصادي:

- خفض الضرائب؛
- التدرج في الضريبة على الدخل؛
- تأميم القرض والصناعات الأساسية؛
- محاربة البطالة وإلغاء الاستيطان وتثبيت الأهالي.

4.3.3. المجال الإداري:

- قبول جميع الجزائريين دون تميز في كل الوظائف مع تطبيق مبدأ المساواة في العمل؛
- الغاء كل التعويضات العرقية والسياسية **(قداش، 2008، صفحة 732)**.

من أبرز أهداف هذا الحزب تشكيل حكومة شعبية ومجلس نيابي مع التأكيد على احترم حقوق الامة الجزائرية، والاهتمام بتعليم اللغة العربية واحترام الدين الإسلامي واستقطاب الفئات الشعبية، حيث انخرط الآلاف منهم في اتحاديات الحزب التي أخذت تنتشر بسرعة في كامل التراب الوطني **(قليل، 2013، صفحة 120)**.

في 29 سبتمبر 1939 قامت الإدارة بحل الحزب ومنعت إصدار صحفه الثلاث، وفي أكتوبر من نفس العام تم اعتقال مصالي مع عدد كبير من أعضاء الحزب، لكن في 28 مارس 1941 حكم نظام فيشي على مصالي بالأعمال الشاقة لمدة 16 سنة، لكن بعد نزول الحلفاء في الجزائر بتاريخ 1942 أطلق سراح مصالي، وذلك خلال عام 1943 ليتم نفيه إلى برازفيل في 23 أفريل 1945، وبقي هناك لغاية 11 أوت 1946 حيث أفرج عنه، لكن منع من دخول الجزائر، في 13 أكتوبر 1946 سمح له بدخول الجزائر وحددت إقامته ببوزريعة، ولكي يمكن حزبه من المشاركة في انتخابات 10 نوفمبر 1946 التشريعية أعلن عن تأسيس حركة انتصار للحريات الديمقراطية في 1946 ليتمكن من تحقيق نجاحات انتخابية **(قليل، 2013، صفحة 133)**.

استفادت الحركة الوطنية بشكل ملموس من التيار الاستقلالي، فقد لعب الحزب دورا محوريا في تشكيل مدرسة متكاملة للنضال الوطني الفعال بحكم المطالب السياسية التي تمثلت في السعي لتحقيق الاستقلال الكامل للجزائر ودول شمال افريقيا، إضافة إلى المطالب الاجتماعية والاصلاحية والتي تجسدت من خلال النشاطات

الكثيفة للنجم، وحزب الشعب مثل: تنظيم المظاهرات الجماهيرية المنادية بالاستقلال، وعقد لقاءات ومؤتمرات بين القادة والأعضاء لدراسة القضية الوطنية، والمشاركة في الانتخابات لتسهيل مهمة الدفاع عن مبادئ النجم وحزب الشعب، وإنشاء جرائد وطنية تقوم بترويج للفكر الاستقلالي وتكوين تحالفات سياسية بين الأحزاب الوطنية **(برجي، 2019، صفحة 179)**.

4. الحزب الشيوعي:

1.4. تأسيس الحزب الشيوعي الجزائري:

تأسس الحزب الشيوعي الجزائري سنة 1924، ولكنه لم يكن حزبا جزائريا صرفا فقد كان معظم أعضائه من المستوطنين المقيمين في الجزائر **(قليل، 2013، صفحة 146)**، أي كان يتشكل من الجزائريين والأوربيين غير أن الطائفة الفرنسية كانت الغالبة والمهيمنة، وذلك راجع إلى انتمائها للأقلية الأوربية وتقاسمها الكثير من الامتيازات كالحقوق المدنية والأجور المرتفعة بسبب إضافة الثلث الكولونيا لي والظروف المعيشية الجيدة التي كانت أفضل من فرنسا ذاتها **(بن خدة، 2012، صفحة 79)**،فعندما لاحظت الأممية الشيوعية أن الفكر الشيوعي قليل الانتشار في الجزائر، دعت الحزب الشيوعي الفرنسي إلى إعادة تنظيم فرعه ليصبح هيئة مستقلة بذاتها، ولقد تجسد ذلك فيما أصبح يعرف بالحزب الشيوعي الجزائري إثر انعقاد مؤتمره التأسيسي بمدينة الجزائر يومي 17 و18 أكتوبر 1936، فقد كان الحزب آنذاك يدعم ويساند الجبهة الشعبية ويؤيد فكرة استقلال الجزائر، لكنه قد غير رأيه وتراجع عن موقفه عام 1935 بسبب التغيرات الاستراتيجية الطارئة على الصعيد الدولي، فتراجع عن تدعيم فكرة استقلال الجزائر نحو الدفاع عن سياسة الاندماج وذلك تنفيذا لأوامر موسكو، فقد كان الحزب الشيوعي الجزائري الحديث في نشأته يتمتع بحرية المراوغة السياسية من الناحية النظرية فقط كونه قد ظل تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي من ناحيته العملية سواء على الصعيد الإيديولوجي أو فيما يتعلق بالخيارات السياسية **(بن خدة، 2012، صفحة 80)**.

إن مطالب الحزب الشيوعي الجزائري كانت بعيدة عن واقع المجتمع الجزائري وتتناقض مع الهوية الحضارية للشعب، ولم تنسجم مع طموحات وتطلعات الجزائريين نحو الاستقلال والتحرر من الاستعمار، لذلك فقد عجز عن استقطاب الجماهير الشعبية وظل منبوذا من طرف الجزائريين، إضافة إلى هروبهم من الشيوعية التي تعتبر بالنسبة لهم تشجيعا على الالحاد والكفر، لذلك نجد أغلب أعضائه من الأوروبيين وبعض الجزائريين الموالين لفرنسا، ولعل أبرزهم عمار وزقان **(بورنان، 2004، صفحة 35)** وعمر بوخرط وقدور بلقاسم **(مقلاتي، د.ت، صفحة 162)**، من جهة أخرى أبدى الحزب الشيوعي الجزائري عام 1936 تأييده للمطالب التي رفعها المؤتمر الإسلامي، والتي تمثلت في المطالبة في الحرية والاستقلال من الاستعمار الفرنسي، وفي نفس الوقت يدعم زعيم

الحزب الشيوعي الفرنسي مقترحات بلوم فيوليت التي كانت تدعو إلى تحقيق الاتحاد ضمن إطار الديمقراطية الفرنسية.

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية تبنى الحزب الشيوعي الجزائري، موقفا سياسيا مختلفا متماشيا مع باقي توجهات الأحزاب الشيوعية المرتبطة بموسكو آنذاك، لكنه سرعان ما غير موقفه ليعارض الاستعمار بعد توقيع معاهدة الميثاق النازي السوفيتي، وتظهر مواقف الحزب الشيوعي المتذبذبة افتقاده للاستقلالية من جهة، وغياب مرتكزات مبدئية ثابتة تجسد تطلعات الشعب الجزائري من جهة أخرى، ومع الحرب العالمية الثانية قامت السلطات الفرنسية بحل الحزب الشيوعي الجزائري واعتباره غير شرعيا واعتقل الكثير من الشيوعيين خلال هذه الحرب **(قليل، 2013، صفحة 165)**.

كانت الشيوعية التي ظهرت في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى تنتمي إلى الماركسية اللينينية، وتتبنى نظرية الصراع الطبقي والتي تركز في نضالها على الطبقة البروليتارية، وفي مقدمتها العمال لتحقيق مبادئ الشيوعية وإنهاء النظام الرأسمالي الإمبريالي والهيمنة الاستعمارية، ولقد كان لاعتناق هذا الفكر من طرف الشيوعين في فرنسا والجزائر وسعيهم إلى تحقيق تلك الأهداف أن جعلهم أكثر الأحزاب الفرنسية تقربا للقضية الجزائرية **(خيثر، 2022، صفحة 112)**.

يعتبر الحزب الشيوعي الجزائري أحد العناصر الأكثر حيوية لترويجه الأفكار الجديدة، فقد جعل أكثر من أي حركة أخرى من المسألة الاجتماعية مسألة مركزية وعمل على تغيير العقليات وتجديدها وساعد في ترسيخ أساليب عصرية خاصة في صفوف العمال، وقد اكتسب العديد من الجزائريين عبر الحزب الشيوعي حب المبادرة الفردية والمشاركة الفعالة في الحياة السياسية **(حربي، 1994، صفحة 144)**.

فسر فشله بسيطرة الدين على العقول وتم تجاهل حقيقة خطه السياسي الذي كان السبب في دفع العمال إلى تبني القضية الوطنية والانخراط في مشروع التحرر بسبب طبيعته كتنظيم متعدد الجنسيات، وبسبب تقييمه غير الدقيق لأهمية المسألة القومية حكم الحزب الشيوعي على العمال الجزائريين بأن يكونوا قوة مساندة للحركات السياسية الأخرى، مما أدي إلى تهميش دورهم المستقل في النضال الوطني، في حين لم يتم تعويض الطبقة العاملة الجزائرية وتم تهميشها **(حربي، 1994، صفحة 115)**.

سعت تسمية الحزب الشيوعي الجزائري إلى إضفاء طابع وطني عليه، والتي تعززت بترقية مجموعة من الجزائريين إلى مواقع قيادية لتأدية دور الوساطة بين الجزائريين ونقل الدعاية الشيوعية إلى أبناء وطنهم من خلال اللغة التي يفقهونها والعناية بتاريخ الوطني، كما اعتبر الشيوعيون الجزائريون أنفسهم امتدادا للنضال الوطني الذي خاضه رموز المقاومة الوطنية كالأمير عبد القادر، والمقراني، والأمير خالد، فهم يرون في مسيرتهم السياسية والاجتماعية استمرارا للكفاح ضد الاستعمار، كما أن الجزائريون الذين انضموا إلى هذا الحزب ليصبحوا كوادر،

كانوا معظمهم طلبة ومدرسين متأثرين بالثقافة الغربية وتلقوا تربية مماثلة لتلك التي تلقاها الاندماجيون **(أو عامري، 2016، صفحة 8)**.

2.4. برنامج الحزب الشيوعي:

سنحاول تسليط الضوء على بعض النقاط الواردة في البرنامج السياسي والاجتماعي للحزب الشيوعي ومن بينها:

- المطالبة بالإدماج مع فرنسا **(قليل، 2013، صفحة 167)**؛
- تحسين الظروف السياسية بإلغاء قانون الأهالي؛
- التعليم باللغة العربية وإلغاء البلديات المختلطة (قداش، جزائر الجزائريين 1830-1954، 2008، صفحة 302)؛
- الدعوة إلى ثورة الفلاحين وطبقة العمال ضد الإمبريالية والإقطاعيين؛
- دمج الجزائر في مشاريع الحزب الشيوعي الفرنسي السياسية؛
- تجهيز المجتمع وعناصره الفاعلة للمساهمة في الثورة الإصلاحية وتحقيق الاشتراكية.

تشبع أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري ونشطاؤه بالثقافة الفرنسية وأمنوا بفكرة الإدماج وأنكروا الهوية الوطنية، وتطاولوا على المبادئ الدينية والقومية، وظلوا خاضعين لتبعية الحزب الشيوعي الفرنسي حتى بعد ظهورهم باسم أصحاب الحرية والديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية **(مقلاتي، د.ت، صفحة 163)**.

تبنى الحزب قناعة مفادها أن تحقيق الوطنية في الجزائر مرتبطا بنجاح الاشتراكية في فرنسا، فسعى لتجسيد الأفكار الاندماجية، فتحالف في عهد الجبهة الشعبية مع الحزب الاشتراكي في الجزائر، ومن أجل التقارب مع بعض الأحزاب الجزائرية تم التعاون مع مختلف أطياف الحركة الوطنية سنة 1936، وسعى الحزب الشيوعي الفرنسي إلى دفع المؤتمر الإسلامي نحو التحالف مع الجبهة الشعبية في فرنسا، وذلك تحقيقا لأهدافه السياسية في تعزيز جبهته الداخلية عبر كسب دعم القوى المناهضة للاستعمار، وقد عبر زعيمه موريس توريز عن هذا التوجه من خلال شعاره الداعي إلى توحيد الشعوب المستعمرة مع الشعب الفرنسي، حيث أكد الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري قدور بلقاسم عام 1937 بأن الاتحاد بين الشعب الجزائري والفرنسي ضروري، وسيبقى كذلك دائما حيث نسق الحزب الشيوعي الجزائري نشاطه السياسي مع الجبهة الشعبية التي تولت الحكم في فرنسا عام 1936، وشرع منذ ذلك الوقت في حملة معادية وشديدة تجاه حزب الشعب الجزائري تعبيرا عن خلافاته الإيديولوجية معه، ومما لاشك فيه أن الاختلاف بين الطرفين كان جوهريا ويتركز حول نقطتين أساسيتين: أولهما قضية الإصلاح التي يتبناها الشيوعيون، وثانيهما مسألة العمل الثوري، والذي كان بنسبة لشيوعيين عبارة عن مغامرة تسعى إلى لإثارة الفوضى ونشر التشويش، حيث تعاون الحزب مع المنتخبين لكنه لم يشأ في إقامة علاقات مع جمعية العلماء

المسلمين، إثر فشل مشروع بلوم فيوليت غير الحزب الشيوعي الجزائري مواقفه السياسية من مشكلة الجزائر، وأصبح يتحدث عن إيديولوجية الأمة الجزائرية في طور التكوين، والتي تشكلت من الأوروبيين والعرب والبربر وعناصر أخرى، وهذا التفكير يلتقي في الحقيقة مع الإيديولوجية الاستعمارية التي تنكر وجود الأمة الجزائرية، ولم يثبت الحزب إقدامه في الجزائر لأنه ظل بعيدا عن تفهم مطالب الجزائريين، وغالبية منضاليه من فئات المثقفين الموظفين والطلبة المتأثرين بالأفكار الماركسية، وعليه فإن الحزب لم يقدم مشروعا سياسيا واضحا ولم يستقل بقراره عن الحزب الفرنسي الأم، وعلى الرغم من ذلك فقد غذى الحركة الوطنية بأفكار وأسس تنظيمية سوف تفيد النضال الوطني وخاصة إبان الثورة التحريرية **(مقلاتي، د.ت، صفحة 165)**،اهتم هذا الاتجاه بصحافة التي تصنف كقوة رابعة في التأثير على توجهات الرأي العام.

ومن بين صحف الشيوعين جريدة الكفاح الاجتماعي، والتي تزامن حضورها مع محاولات الشيوعيين إلى ترسيخ مكانتهم في الساحة السياسية، غير أن معالجة قضايا المستعمرة في صفحات الجريدة اتصفت بقدر من التمايز والاختلاف، اذ نجد تباين في مواقف الشيوعيين إزاء قضايا المستعمرة وكيفية تعاملهم معها بين السعي إلى فرض وجودهم في الساحة السياسية بالجزائر، وبين إصدار مواقف وإبداء أحكام تجاه الحركة الوطنية.

لقد تنوعت مظاهر تسرب اليسار الفرنسي والشيوعي تحديدا إلى الجزائر عن طريق الصحافة، حيث سعى إلى ترسيخ وجوده عبر تناول مجموعة من القضايا والموضوعات في الصحافة الشيوعية، عبر تحرير المقالات من محررين فرنسين أو جزائريين تم فيها الإشهار والدعاية للمبادئ العامة لليسار، كما عملت هذه الصحافة على الترويج لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها مع إعطاء أولوية واضحة لقضية الاستعمار ومعاناة الشعوب المضطهدة، وهي المحاور المركزية التي شكلت محور اهتمام غالبية الصحف منذ بداية حضورها في الجزائر وعلى رأسها جريدة الكفاح الاجتماعي، منذ أن أصبحت اللسان الإعلامي للحزب والحركة الشيوعية عموما، لذلك نجد العديد من مقالاتها تتكلم عن أهمية الحركة الشيوعية وأهدافها النبيلة الهادفة لنصرة الفرد أمام الامبريالية **(خباش، 2023، صفحة 52)**.

3.4. حل الحزب الشيوعي الجزائري:

شهد الحزب الشيوعي الجزائري مصير الحزب الشيوعي الفرنسي نفسه، فقد تم حله بعد التوقيع على الحلف الأطلسي وتم اعتقال مجموعة من منضاليه على رأسهم قدور بلقاسم الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري وأغلقت بعض المقرات، وكان بوكرت الوحيد الذي سلم استقالته من الحزب بعد إمضاء الحلف على تصريح يقتضي دعمه للمشاركة في الحرب، كادت شعبية هذا الحزب أن تكون معدومة بسبب عدم ثقة الجزائريين فيه

لمحاربته لوطنية النجم وحزب الشعب، وعدم تمكنه من تحقيق شيء من مشاركته في الجبهة الشعبية **(قداش، جزائر الجزائريين 1830-1954، 2008، صفحة 874)**.

أما أوروبيوا الجزائر الوطنيون الفرنسيون فقد امتنعوا عن دعمه ولم يوافقوا يوما على برنامجه ومطالبه ولم يتبعوا الحزب، ولم يكن الحزب الشيوعي بارزا بما فيه الكفاية فالعدد السري لجريدة الكفاح الاجتماعي الصادر في سبتمبر 1939 مر بشكل غير ملحوظ إلى غاية الاستسلام ف 1940.

فقد تمكن الشيوعيون من تصميم مطبعة صغيرة وإصدار مطبوعة الكفاح الاجتماعي لأول مرة، إضافة إلى الكثير من المنشورات التي تم توزيعها، حيث أعاد الحزب بناء نفسه تحت تسمية جبهة الحرية وكون نفسه بقوة في منطقة وهران، إذ لم يكن القمع قد واجه كل قادته، عكس الجزائر العاصمة الذي لم يكن ناجحا وفعالا فيها، كما ساهم في النضال ضد فيشي، حيث توفي قدور بلقاسم بمعتقل جنين بورزق، وتم القضاء على علي رابيا، أما أحمد إسماعيلي الذي حكم عليه بالإعدام غيابيا، فقد قام بالمحاولة لإعادة بعث تنظيم سري.

في سبتمبر 1942 طلب بيان للحزب تكوين جبهة الحرية ضد التوسع الفاشي الألماني في الجزائر، وأعلن النداء القائل: لكي لا تكون الجزائر مستعمرة ألمانية ولتأمين المعيشة للشعب والدفاع عن الفلاحين والشباب الجزائريين تم الدعوة إلى الاتحاد دون إعطاء أهمية للأصول العرقية والفلسفية للكفاح ضد السيطرة على البلاد، التي يحضر لها هتلر مع التأكيد على الثقة في الجيش الأحمر السوفياتي لتحقيق الحرية، والعدالة، والمساواة، إلا أن هذا البرنامج لم يجذب اهتمام الأوربيين الذين ناصروا حكومة فيشي وتعاونوا مع الألمان لا المسلمين المنشغلين بمصير بلدهم أكثر من مصير فرنسا **(قداش، جزائر الجزائريين 1830-1954، 2008، صفحة 875)**.

استفادت الحركة الوطنية الجزائرية من نشاطات الشيوعين في الجزائر كونها كانت من العوامل التي ساهمت في فتح أفاق ورؤى جديدة لصالح الجزائريين، إضافة إلى أن بعض من الجزائريين اتخذوا من الحزب الشيوعي الفرنسي ملجأ لهم من القوانين الجائرة المسلطة عليهم.

ثم إن مهاجمة الشيوعين للاستعمار جذبت لهم أنظار الجزائريين الذين تعلموا منهم تكتيكا جديدا لمعارضة الحكم كنظام الصارم والمناورات والشعارات السياسية بخصوص الثورة والاستعمار، فكان كل من الشيوعيين والوطنيين في حاجة لبعضهما البعض **(أبو القاسم، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1945)، 2005، صفحة 339)**.

لم يشكل الحزب الشيوعي الجزائري في أي مرحلة من المراحل قوة سياسية ذات وزن معتبر داخل الساحة الجزائرية سواء قبل اندلاع ثورة التحرير عام 1954 او بعدها، حيث كان أمينه السيد العربي بوهالي من 1947 إلى 1962 متصارعا مع قيادات كل من حزب انتصار الحريات الديمقراطية بقيادة مصالي الحاج، والاتحاد

الديمقراطي للبيان الجزائري بزعامة فرحات عباس، لكنه لم يحقق أي نتيجة إيجابية وهو الشيء نفسه الذي يمكن أن يقال عن بشير حاج علي الذي أصبح يعمل في الخفاء.

عقب اندلاع ثورة نوفمبر 1954 يمكن القول إن الشخصية الوحيدة التي أسهمت بشكل فعال في دفع الحزب الشيوعي الجزائري إلى اتخاذ موقف مساند لجبهة وجيش التحرير الوطني في مواجهة الاستعمار الفرنسي هو الصادق هجرس الذي انضم إلى الحزب سنة 1950، ثم تم تعيينه عضوا في اللجنة المركزية للحزب سنة 1952، ثم عضو المكتب السياسي سنة 1955، وفي شهر مارس من عام 1956 قرر قادة الحزب الشيوعي الجزائري تأسيس منظمة عسكرية خاصة بهم، وقد اطلق على هذه المجموعة اسم محاربو التحرير، وكانت تضم في صفوفها كلا من هجريس، قروج، وبوعلام خالفة، وفي 5جوان 1956 تمكن الجيش الفرنسي من القضاء على معظم الأفراد الذين جندتهم هذه المنظمة وأرسلتهم إلى ناحية الشلف **(بوحوش، 1997، صفحة 286)**.

من خلال دراسة التيارات المختلفة التي شكلت الحركة الوطنية الجزائرية بمختلف اتجاهاتها، يتضح ان هذه الحركة لم تكن موحدة من حيث الوسائل والأهداف، بل تعددت فيها التوجهات الفكرية والسياسية، بحيث:

- ← أن الحركة الإصلاحية في الجزائر بقيادة جمعية العلماء المسلمين ركزت على بعث الوعي الديني والثقافي والتمسك بالهوية الإسلامية معتبرة أن الإصلاح التربوي والاجتماعي هو الأساس لأي تحرر سياسي؛
- ← كما عملت الجمعية جاهدة لمحاربة الخرافات والبدع التي سعت الإدارة الاستعمارية لنشرها لإبقاء سيطرتها على الشعب الجزائري؛
- ← أما بخصوص التيار الإدماجي الذي كان يرى أن إمكانية إصلاح أوضاع الجزائريين من داخل المنظومة الفرنسية مطالبة بالمساواة في الحقوق دون المساس بالسيادة الفرنسية؛
- ← أما التيار الاستقلالي الذي نشأ بالمهجر عن طريق المغتربين الجزائريين، فقد ساهم في الدفاع عن الجزائريين وحفظ حقوقهم والمطالبة بالاستقلال الكامل للجزائر، وهذا ما جعله يتعرض للحل المستمر من طرف السلطات الاستعمارية؛
- ← أما بخصوص الحزب الشيوعي فقد تبنى خطابا راديكاليا ركز فيه على النضال الطبقي، اذ ربط القضية الجزائرية بالكفاح العالمي ضد الرأسمالية والاستعمار؛
- ← رغم اختلاف المرجعيات والأهداف، لكن هذه التيارات قد أسهمت بشكل تكاملي في بلورة الوعي الوطني الجزائري.

الفصل الثاني:

مالك بن نبي صورة حياة (1905-1973)

يُعدّ مالك بن نبي من الشخصيات الفكرية الجزائرية التي اجتمع فيها عُمق التكوين المعرفي مع التجربة الوجودية المباشرة تحت نير الاحتلال، مما منح مشروعه الفكري امتدادًا حيويًّا بين الواقع والمبدأ، وبين المعيش والنظر. ولأنّ الفكر لا ينفصل عن لحظة تشكّله، فإنّ فهم موقف بن نبي من المسألة الوطنية لا يستقيم دون العودة إلى مسيرته الحياتية، التي تُمثّل انعكاسًا للتحولات التي عرفها المجتمع الجزائري في النصف الأول من القرن العشرين.

في هذا الفصل، نرسم معالم المسار الإنساني والفكري لمالك بن نبي، انطلاقًا من طفولته التي تزامنت مع خفوت صوت المقاومة المسلحة، وما رافقها من تحوّل في الوعي الجمعي، ثم نتتبّع مسيرة تكوينه العلمي في باريس، وما فتحته له من آفاق واحتكاك بالأفكار الكبرى للعصر، وصولًا إلى نشاطه الفكري خلال إقامته بمصر، حيث استوت رؤيته، وتبلور مشروعه الحضاري في صورته الأوضح. إنّ هذه المسارات، بما حملته من تفاعل دائم مع التحوّل السياسي والاجتماعي، تشكّل مدخلًا ضروريًّا لفهم طبيعة تصوّره للحركة الوطنية، وحدود انخراطه فيها، وخصوصية موقعه منها.

ولهذا قمنا بتخصيص هذا الفصل لتطرق إلى ما يلي:

1) بن نبي الطفل (1905-1930):

1.1. شاهد على غروب عصر المقاومة وبزوغ الفكر النهضوي.

2.1. مالك بن نبي رجل الفطرة.

3.1. مهد في مواجهة التغريب.

2) بن نبي الطالب والمفكر (1930-1963):

1.2. مالك من دفع التغريب إلى الاغتراب.

2.2. مالك في مهب الأفكار.

3.2. رحلة بن نبي إلى مصر (1956-1963).

4.2. مؤلفاته الفكرية.

1. مالك بن نبي الطفل (1905-1930):

1.1. شاهد على غروب عصر المقاومة وبزوغ الفكر النهضوي:

بعد أن طبع القرن التاسع عشر بموجة من المقاومات الشعبية المسلحة التي اتسمت بانحصارها الجغرافي واعتمادها على تحالفات عشائرية محدودة الفعالية، أمام التفوق العسكري للاحتلال الفرنسي الذي استغل هذا التشتت، وفرض حصارا على المناطق التي تنشط فيها المقاومة عن طريق سياسة العزل والتطويق، وبينما كانت الذاكرة الجماعية لاتزال مشحونة بأمجاد الأمير عبد القادر وثورات المقراني والحداد وبوعمامة بدأ يظهر وعي جديد يلوح في الأفق، وفي خضم هذا التحول ولد مالك بن نبي في 1905 ليكون شاهدا على زمن البندقية وبداية زمن الفكرة، حيث تغيرت أساليب النضال ضد الاستعمار الفرنسي **(بوحوش، 1997، الصفحات 201-202)**.

في خضم هذا التحول التاريخي بدأت ملامح نهضة فكرية تتشكل في الوعي الجزائري نهضة لم تعد تراهن على السلاح وحده، ولم تكن هذه النهضة وليدة صدفة أو نتاج تحرك عفوي بل جاءت بفعل تفاعل عميق بين عوامل مختلفة ومن بينها:

بروز الحركة الإصلاحية التي أطلق شرارتها المفكر المصري محمد عبده[1] كنسمة فكرية منفتحة على التجديد والتحديث داخل العالم الإسلامي، وكان لها وقع خاص في الجزائر التي كانت تعيش تحت وطأة الاستعمار، حيث أعادت بناء الوعي المجتمعي الجزائري بوصفها فضلا ربانيا أعاد للإسلام حيويته، وعلى الرغم من تأثيرات رسالة محمد عبده التي بدأت تتسلل للجزائر تدريجا أواخر القرن التاسع عشر، إلا أن الجزائريين لم يتمكنوا من استيعاب عمق هذه النزعة الا بعد زيارته الرسمية للجزائر في سبتمبر 1903 التي أشعلت شرارة الوعي الإصلاحي الحقيقي خاصة للمثقفين الذين يشكلون حزبه في الجزائر **(علي، 2007، صفحة 36)**.

كانت زيارة محمد عبده للجزائر سنة 1909 لحظة رمزية اشتبك فيها الوعي الجزائري مع الوعي الإصلاحي القادم من المشرق.

لم يكن حدث حلول محمد عبده الجزائر معزولا إنما كان جزءا أساسيا من موجة أوسع عرفت بالجامعة الإسلامية.

برزت الجامعة الإسلامية كأحد أبرز التيارات الإصلاحية، التي سعت لبعث نهضة متكاملة في وجه التحديات الاستعمارية والتفكك الداخلي، وتعرف بأنها حركة فكرية دعت لتوحيد صفوف المصلحين لمواجهة التوسع الأوروبي، حيث شجع أصحاب هذه الحركة المسلمين ومن ضمنهم الجزائريين على الهجرة والانفتاح على المراكز

[1] **محمد عبده**: من أبرز أعلام الإصلاح في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر ارتفع صوته بالدعوة إلى أمرين هما: تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة وتطهير الإسلام من البدع التي شوهت شعائره، تولى رئاسة تحرير جريدة الوقائع المصرية واشتغل بالتدريس والتأليف، ومن أشهر مؤلفاته رسالة التوحيد، للمزيد من المعلومات أنظر: **(تيمورباشا، 2019، الصفحات 115-117)**.

الفكرية في المشرق العربي، اذ هاجر عدد معتبر من الجزائريين في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حيث مثلت هجرتهم جسرا مباشرا لنقل أفكار الإصلاح والتجديد لأرض الجزائر **(أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، 1992، الصفحات 109-112)**.

لو تساءلنا عن دوافع بعض المهاجرين الجزائريين في تفضيلهم الهجرة إلى المشرق العربي خاصة في القرن التاسع عشر، بدلا من الوجهات الاقتصادية كالعالم الأوروبي لأمكن أن نجد في خلفياتهم الدينية والثقافية تفسيرا لذلك، اذ يري البعض ان العيش في أرض الإسلام ومساكنة العرب هو بحد ذاته مصدر رزق وأمن وفرص بما تحمله هذه الوجهة من روابط روحية وهوية وحضارية تفوق في معناها مجرد اعتبارات مادية، حيث لم تكن انتقالا جغرافيا فحسب إنما مثلت طورا مهما في مسار الانفتاح والنهضة الفكرية في الجزائر **(أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، 1996، صفحة 192)**.

إضافة لهذه العوامل الاجتماعية والدينية التي ساهمت في تشكيل الوعي النهضوي مطلع القرن العشرين، برز عامل آخر لا يقل أهمية تمثل في ظهور الدراسات التاريخية التي وضعت بأقلام جزائرية مثل: ابن عمار عام 1902، وابن مريم 1907، والورتلاني 1908، والغبريني 1915، وأيضا أبو القاسم الحفناوي في 1907 من خلال مؤلفه تعريف الخلف برجال السلف بوصفه خطوة رائدة في التاريخ الوطني ومن أوائل المحاولات المنهجية لتوثيق التراجم الجزائرية اعتمادا على مصادر محلية أصيلة تمثلت في المخطوطات والوثائق التي كانت تحتفظ بها العائلات الجزائرية آنذاك، حيث يكشف هذا العمل المبكر بأهمية حفظ الذاكرة **(الميلي، 2007، صفحة 42)**.

في هذا المناخ المليء بالتحولات تشكل وعي مالك بن نبي فكان شاهدا لا على نهاية مرحلة فحسب، بل على ولادة أخرى، حيث كبر وهو في البيت يسمع صدي المقاوم، وفي الخارج يرى ملامح أمه تبحث عن ذاتها ليمتص من الذاكرة حرارة الجفاء ومن المحيط أسئلة النهضة.

2.1. مالك بن نبي رجل الفطرة:

هو مالك بن نبي، بن الحاج عمر[1]، بن الخضر عمر، بن مصطفn **(ميلاد، 1998، صفحة 38)**، ولد في مدينة قسنطينة يوم 1 جانفي 1905 م **(عويمر، 2007، صفحة 11)**، ويرى بن نبي أن فترة ميلاده والأحداث التي شهدتها تعتبر نتاجا لأحداث القرن المنصرم بكل شخصياته، فميلاده لم يكن مجرد بداية لحياة فرد، إنما كان امتدادا لتراكم قرن كامل من التحولات والصراعات والتفاعلات، اذ ولد على مفترق طرق التاريخ، فوجد نفسه ليس ابن

[1] **الحاج عمر:** هو ساعد بن نبي المدعو الحاج عمار والد مالك، من مواليد مدينة قسنطينة ويظهر اسمه في تقرير يخص مدرسة تهذيب البنين بتبسة التي يديرها الشيخ العربي التبسي، اشتغل كاتب ببلدية اريس المختلطة، وكان يساعد العربي التبسي في إدارة شؤون مدرسته، لم تكن له مواقف سياسية واضحة، إلا بعد رفض إدماجه في منصب عمله، حيث أصبح ينتقد وبحدة الإدارة الاستعمارية، للمزيد من المعلومات أنظر: **(شروانة وعلاوة، 2020، صفحة 19)**.

زمنه فحسب إنما شاهد على قرن بأكمله، ومن هنا لم يكن غريبا ان يطلق على نفسه لقب "شاهد القرن" لعدم اكتفائه بالمعايشة فقط، إنما امتلاكه لأدوات الفهم والتشخيص والقراءة **(بن نبي، 1984، صفحة 15)**.

قضي بن نبي شطرا من طفولته في كنف عمه الأكبر بمدينة قسنطينة، التي كانت مركزا حضاريا وعلميا نابضا في الشرق الجزائري، لكن شاءت الاقدار أن يختطف العم بالموت، وهو الحدث الذي غير مجري الطفولة الناشئة، حيث وجدت أرملة عمه السيدة بهيجة نفسها في موقف بالغ القسوة، اذ اجتمعت حصرتها على مالك الذي تعلقت به بحب أمومي مع عجزها المادي المتفاقم بعد رحيل زوجها، ورغم رغبتها الصادقة في الاحتفاظ بمالك في حضنها، لكن الواقع المادي والاستعماري الذي كان يعمق هشاشة الأرامل والأيتام في المجتمع الجزائري حال دون ذلك ما أجبرها إلى إعادته لأسرته في مدينة تبسة **(بن نبي، 1984، صفحة 18)**.

لم يكن هذا الانتقال مجرد انتقال جغرافي إنما انتقال بين عالمين عالم حضري زاخر بالحياة الفكرية وآخر بسيط يميل للطابع الفكري والبداوة، حيث ستنصهر هذه الثنائية في وجدان الطفل مالك مع مرور الزمن لتشكل نواة شخصيته الفريدة التي تتوازن بين العمق الروحي والبساطة الشعبية.

نشأ مالك بن نبي في كنف أسرة محافظة بمدينة تبسة ذات الطابع البدوي، حيث كانت البنية الأسرية تدار وفق تقسيم صارم للأدوار بين الجنسين، ففي المجال الخارجي كانت سلطة القرار موكوله للأب أو الأخ الأكبر، أما داخل البيت فكانت الأم أو الأخت الكبرى تمارس سلطة تنظيمية واضحة، مما يجعل من المرأة فاعلا أساسيا، وان كان غير مرئي خارج جدران البيت في رسم معالم الحياة اليومية للأسرة، حيث هذا التوازن التقليدي بين المجالين العام والخاص شمل الإطار المرجعي الأول الذي تشكل فيه وعي الطفل مالك **(بن حمد العويسي، 2011، الصفحات 52-53)**.

احتفظ بن نبي في ذاكرته بالكثير من التفاصيل المرتبطة بسقوط قسنطينة في قبضة الاحتلال الفرنسي استقاها من السرديات الشفوية المتوارثة داخل أسرته، لاسيما جدته لأمه الحاجة زليخة ابنة الحاجة بايا، حيث شكلت هذه الروايات مرآة عكست الوعي الشعبي القسنطيني لحظة دخول المستعمر قسنطينة، حيث لجأت العديد من العائلات ومن بينها عائلة الجدة بايا إلى مغادرة المدينة مدفوعة بهاجز الحفاظ على العرض وستر البنات في ظل الفوضى والانقلاب الأمني الذي رافق دخول القوات الفرنسية، حيث تعكس هذه الممارسات موقفا جماعيا دفاعيا اتخذته الأسر القسنطينية كآلية مقاومة أخلاقية في وقت لم تكن فيه المقاومة السلاح متاحة للجميع **(بن نبي، 1984، صفحة 15)**.

لعبت الجدة زليخة دورا محوريا في بناء الأسس الأخلاقية الأولى لشخصية حفيدها من خلال أحاديثها المتكررة حول ثنائية، العمل الصالح وثوابه، والعمل السيئ وعقابه، حيث أصبحت الجدات هنا كحارسات للذاكرة الأخلاقية والجماعية، حيث اقترنت هذه التربية بممارسات مادية واقعية تجلت في تضحيات والدة مالك التي بادرت

بتقديم سريرها الخشبي المعروف بالسدة كأجرة لمعلم القرآن الخاص بمالك بعد عجزها عن الدفع النقدي وعيا منها بقيمة العلم وضرورة الاستثمار فيه ولو على حساب ضروريات البيت، لذا ساهمت هذه الممارسات الظاهرة منها والخفية في صقل وعي مالك **(بن نبي، 1984، صفحة 19)**.

تميزت الأسر المحافظة خلال الحقب الاستعمارية بحرصها البالغ على تنشئة أبنائها في كنف تعاليم الدين الإسلامي ومبادئ اللغة العربية معتبرة ذلك وسيلة استراتيجية لمقاومة التغلغل الثقافي الغربي وتحقيق نوع من التحصين الهوياتي في ظل سياسات التغريب التي مارستها الإدارة الاستعمارية.

حرصت اسرة مالك على تنشئته الدينية منذ نعومة اظافره، اذ الحقته بالكتاب رغم الظروف المعيشية الصعبة مستلهمة هذا التوجه من التأثير المزدوج للحركة الإصلاحية والصوفية السائدة أنداك، حيث كان لعمه محمود أحد أتباع الزاوية العيساوية[1] دور بارز في تشكيل وعيه الديني المبكر، اذ اعتاد أن يصحبه أحيانا للزاوية **(العقبي، 2005، صفحة 29)**، لهذا ستظهر نتائج هذه التربية الدينية في شخص مالك المفكر الذي يرى ان الإسلام ليس مجرد دين تعبدي، إنما هو المحرك الأساسي لبناء الحضارة لربطه بين الإيمان والعمل لأن الإسلام حسب مالك دين صالح لكل زمان ومكان **(سلالي، 2024، صفحة 14)**.

كان بن نبي كثيرا ما يستعد لحظات طفولته لاسيما أيام الجمعة خلال العطل، وهو يرتدي قميصه الأبيض المزركش مع برنص صغير، اذ كان هدية من زوجة عمه السيدة بهيجة والسعادة تملأ يومه بهذا الزي الفريد **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، الصفحات 25-26)**.

3.1. مهد في مواجهة التغريب:

انشغلت السلطة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر خلال أواخر القرن 19م بقمع حركات المقاومة الشعبية، غير انها في الوقت ذاته شرعت في توسيع شبكة المدارس الفرنسية بهدف ترسيخ لغتها داخل البنية الاجتماعية الجزائرية، باعتبار اللغة أداة استراتيجية لمراقبة الثقافة العربية الإسلامية التي كانت تعد عائقا أمام تثبيت الهيمنة الاستعمارية.

مع مطلع القرن العشرين اتجهت الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى تكثيف جهودها الرامية إلى الحد من انتشار التعليم باللغة العربية، عبر مراقبة دقيقة لكافة المساهمين في العملية التعليمية وتطوير ترسانة من القوانين والإجراءات الهادفة إلى تضييق الخناق على التعليم العربي، ومن أبرز هذه الإجراءات ما تضمنه القرار الصادر ب 24 ديسمبر 1904، والذي اشترط على المعلمين الجزائريين ضرورة الحصول على ترخيص مسبق من

[1] **العيساوية:** فرع من فروع الشاذلية الجزولية مؤسسها الشيخ محمد بن عيسى شقيق مكناس بالمغرب الأقصى، واتخذت هذه الطريقة طابعا شعبيا بالجزائر والمغرب، ولاقت بعض الاستنكار من الفقهاء والعلماء من خلال ممارساتها لأعمال السحر والعنف، وللمزيد من المعلومات أنظر: **(أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، 1998، الصفحات 81-82)**.

السلطات الاستعمارية في المناطق الخاضعة للحكم العسكري أو من عامل العمالة في المناطق الأخرى لفتح مدارس تعليمية، وقد رافق هذا الترخيص جملة من الشروط الصارمة تمثلت في: **(بوعزيز، 2007، صفحة 60)**

- الاقتصار على تحفيظ القرآن الكريم دون شرح الآيات التي تتضمن موضوع الجهاد؛
- منع تدريس التاريخ والجغرافيا الجزائرية وقطع الصلة مع العالم الإسلامي؛
- اشتراط الإخلاص الكامل للإدارة الاستعمارية والانصياع التام لأوامرها.

في هذا المناخ المشحون بسياسات التذويب الثقافي الطفل مالك يفتح عينيه على عالم يسعي لاقتلاع جذوره اللغوية والدينية، وهو ما شكل بوادر الوعي لدى أسرة مالك التي كانت حريصة على تعليمه الديني كلبنة أساسية وحصانة.

خص بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية اهداء لوالديه "الى روح أمي إلى أبي الوالدين اللذين قدما لي في المهد أثمن الهدايا هدية الايمان" **(بن نبي، الظاهرة القرآنية، 1987، صفحة 7)**، حيث كانت هدية الايمان قوة داخلية في مالك جعلته يقوى على مواجهة تحديات العصر خاصة التغريب والاستعمار الفكري.

في أجواء مدينة تبسة الهادئة حيث تمازجت البساطة الروحية بوهج الطفولة، بدأ مالك بن نبي أولى خطواته في درب التكوين العلمي والروحي محملا بقلب نابضا بالأمل وعيون متطلعة إلى نور العلم والمعرفة، وقد حرص والده على أن تكون البداية متجذرة في الأصالة الدينية فالحق بالمكتب القرآني، حيث شرع في حفظ ما تيسر له من آيات الذكر الحكيم في تجربة أولى صاغت شخصيته **(بن حمد العويسي، 2011، صفحة 144)**.

التحق بن نبي أيضا في نفس المدة تقريبا بالمدرسة الحكومية الفرنسية الوحيدة في مدينة تبسة في خطوة تعكس حرص الاسرة على توفير تعليم مزدوج يجمع بين الأصالة والمعاصرة، اذ كان الهدف أن ينهل مالك من معين اللغة الفرنسية إلى جانب إتقانه اللغة العربية، بما يخدم بناء شخصية منفتحة قادرة على التفاعل مع مختلف الأنماط **(العبدة، 2006، صفحة 23)**، ربما كان هذا التوجه المزدوج في آن وأحد في مسيرة بن نبي التعليمية سببا في خلق نمط يومي مرهق ، اذ كان يتردد في الصباح الباكر على المكتب القرآني، ثم ما يلبث أن ينتقل عند الثامنة صباحا إلى المدرسة الفرنسية، مما جعله يعيش تجربة تعليمية مزدوجة لم تخلو من الصعوبات، حيث وجد نفسه موزعا بين مدرستين تختلفان اختلافا يتنافى المضامين التربوية والمناهج، بل وحتى في أسلوب تعامل المعلمين، وهنا تولد شعور بالتنافر بين العالمين في داخل الطفل، ما أدى به للميل شيئا فشيئا عن العزوف من المكتب القرآني وتكررت عليه العقوبات من معلميه ووالده على حد سواء، وقد اعترف أن لم يتجاوز في هذا المسار سورة سبح ما يشير إلى توقفه المبكر عن مواصلة هذا النوع من التعليم بعد اربع سنوات **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 24)**.

في إطار السياسة التعليمية التمييزية التي انتهجها الاستعمار، تم في المدرسة الفرنسية الوحيدة بتبسة فتح صف رابع خاص بأبناء الأهالي، ويعد بمثابة مرحلة انتقالية تمهيدية تدوم لبضعة سنوات، قبل السماح لهم للالتحاق بالأقسام الأخرى المخصصة لتلاميذ الأوربيين، وهذه جزء من سياسة التفريق العنصري لفرض تدرج طبقي في التعليم غير أن الحظ أسعف مالك بفضل اجتهاده والتحق مباشرة بالصف الثالث، وتركت هذه التجربة اثرا بالغ في نفسه، خصوصا ما وجده من دعم وتشجيع لدى معلمته **مدام بيل** التي لعبت دورا مهما في تسهيل اندماجه في وسطه الجديد، وقد أشار في مذكراته إلى تأثيرها العميق عليه بحيث تحفيزها له وبفضلها تفوق وتميز عن زملائه **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 25)**.

بعد ان أتم مالك بن نبي مرحلة التعليم الابتدائي بمدينة تبسة بنجاح لافت تميز فيه بنيله تقديرا جيدا في امتحان المنح، وهو انجاز بالغ الأهمية في سياق الحقبة الاستعمارية خاصة بالنسبة لتلميذ من أبناء الأهالي الجزائريين، الذين كانت فرصتهم التعليمية محدودة ومقيدة بسياسات التمييز الفرنسي، بدأت معالم التحول في مسيرته التعليمية ترسم، فهذا النجاح لم يكن مجرد عبور دراسي بل جواز عبور اجتماعي، مكنه من الانتقال إلى مستوي تعليمي أكثر نخبوية فتح أمامه أبواب مدينة قسنطينة، المدينة التي لم تكن غريبة على وجدانه فهي مسقط رأسه وفضاء ذكرياته الطفولية الأولى، التحق هناك بالمدرسة الفرنسية الوحيدة بقسنطينة بسيدي الجلي، والتي لم تكن تفتح أبوابها بسهولة لأبناء الأهالي، بل كانت بمثابة معبر محفوف بالشروط نحو حلم الاندماج الذي راود بعض الجزائريين ممن أرادوا المتوقع داخل وظائف الإدارة الاستعمارية في ميادين مثل: القضاء، التعليم، الترجمة وغيرها من المناصب، ومن أحد عوامل قبول مالك في هذه المدرسة كان موقع والده كموظف في بلدية تبسة المختلطة وقربه النسبي للمتصرف الإداري الفرنسي آنذاك، أيضا لا ننسى تفوق مالك الشخصي حيث تميز بذكاء حاد وحس ملاحظة مرهف وجسد قبوله في هذه المدرسة لحظة فارقة في مساره التكويني ليس فقط تعليميا إنما ذهنيا، اذ كانت خطوة في رحلة طويلة من التأمل في تناقضات المشروع الاستعماري **(أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، 1998، الصفحات 212-213)**.

سار مالك رفقة عمه محمود إلى المدرسة الجديدة بقسنطينة، حيث قدم مالك إلى المعلم الفرنسي السيد مارشان وهو الذي درس سابقا والده وعمه، مما يعكس استمرارية معرفية داخل بنية اجتماعية استعمارية تحاول فرض نماذج خاضعة لمعاييرها الثقافية والسياسية.

كون مالك انطباعا جيدا عن السيد مارتان رغم كونه ينتمي لمنظومة استعمارية ووجد فيه بوابة أولى لفهم الثقافة الفرنسية من الداخل، وفي موازاة هذا المسار كانت الأسرة تضع أمامه مسارا آخر تمثل في توجيهه نحو دراسة القضاء باعتباره مهنة راقية في سياق الإدارة الاستعمارية، تمنح صاحبها مكانة وسط البنية الاجتماعية المقهورة فسجل مالك في دروس عبد المجيد أحد المدرسين البارزين في هذه المدرسة والمكلف بتكوين النخبة المتجهة

لهذا المجال، هكذا وجد مالك نفسه في تماشي مباشر مع تيارين فكريين متباينين، فالأول تمثله المدرسة الفرنسية بقيمها الوضعية والعقلانية، والثاني جسده العلماء المحليون لثقلهم الديني والتراثي **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 17)**.

استطاع كل السيد مارتان والشيخ عبد المجيد ان يساهم في بلورة الأفق الفكري والثقافي لمالك بن نبي، حيث مثل له الأول الانضباط والمنهج والنزعة التحليلية، والتالي قدم بعدا روحيا اصيلا يربطه بهويته الإسلامية، لذلك بدأت تتشكل في وعيه تلك الثنائية التي ستصبح لاحقا محور مشروعه الفكري في التوفيق بين العقلانية والتوحيد وبين المعرفة الحديثة والأصالة الروحية، تلقى بن نبي علوم اللغة العربية من نحو وصرف على يد الشيخ عبد المجيد، وهو ما مكنه من فهم بنية اللغة العربية واسرارها، كما نهل من علم الكلام وسيرة نبي عليه الصلاة والسلام على يد الشيخ المولود بن الموهوب، مما فتح أمامه أبواب التفكير العلمي والفلسفي، كما تعلم فنون التعبير والمطالعة والأدب الفرنسي **(العقبي، 2005، صفحة 31)**.

كان ولع مالك بالمطالعة في مرحلة مبكرة أحد ركائز تشكل وعيه الفكري، اذ انفتح على مشارب فكرية متعددة جمعت بين التراث الإسلامي العريق والفكر الغربي الحديث، ومن أشهر المجاميع التاريخية الإسلامية التي طالعها بن نبي نجد:

- كتاب المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر؛
- مقدمة العلامة عبد الرحمن ابن خلدون (1332- 1406م) التي مثلت له أكثر من مجرد نص تاريخي، بل كانت إطار لفهم السنن الاجتماعية والعمرانية.

كما أثرت فيه أيضا مؤلفات رواد الإصلاح في العصر الحديث، اذ أقبل على مطالعة:

- رسالة التوحيد للإمام محمد عبده (1849 -1905)؛
- الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق لأحمد رضا؛
- أم القري لعبد الرحمان الكواكبي (1849-4902).

في المقابل لم يكن فكره منغلقا على الموروث العربي الإسلامي فحسب بل انفتح أيضا على التيار الغربي الأوروبي حيث نهل من أدأب وفلسفات مفكرين أوروبيين أمثال: **(عويمر، 2007، صفحة 12)**

- بورجي، لوتي، فارير لا مرلين في الادب؛
- جون ديوي، كون دياك، في الفكر والفلسفة.

ساهم احتكاكه أيضا بالمجال العمومي في صقل فكره، حيث لعبت المقاهي دورا بارزا في إحياء الحياة الثقافية الجزائرية في تلك المرحلة، اذ تجاوزت فكرة أنها ملتقيات لترفيه فأصبحت منتديات حوارية تجمع المثقفين وتحتضن النقاشات الفكرية والسياسية، ومن بينها المقهي الواقع بين مدرسته قهوة أبي عربيط إلى جانب قهوة ابن يمينة،

اذ فيها يتداولون القضايا الفكرية وكانت معبرا لامتداد تأثير جماعة ابن باديس التي مثلت تيارا اصلاحيا حرك في الشباب الوعي بالهوية والانتماء **(العقبي، 2005، الصفحات 31-32)**، إلى جانب المدرسة والمقهى ومخالطة المثقفين ساهمت الصحف الإسلامية والجزائرية في تغذية فكر مالك آنذاك، ومن بين هذه الصحف نذكر: الشهاب، العصر الجديد، الاقدام، ام القرى، صدي الصحراء، الشؤون العامة، الامة، النضال الاجتماعي، الإنسانية **(العقبي، 2005، صفحة 32)**.

استطاع مالك وهو في هذه المرحلة المبكرة مطالعة 11صحيفة ومجلة باللغة العربية، كما اطلع على 6 صحف بالفرنسية و15 كتابا بالعربية والفرنسية وأكثر من 12 كتابا بين القصص والرواية والشعر **(الشمري و ياشوش، 2017، صفحة 50)**.

كانت رحلة مالك في المرحلة الاكمالية حافلة بالتجارب، ففيها بدأ وهو ابن 15 سنة اذ درس في الفترة الممتدة من 1921 -1925، وهي فترة حساسة تزامنت مع بروز أحداث سياسية هامة وظهور التيارات الفكرية الأولى التي مهدت لنشوء الحركة الوطنية.

شهدت الفترة الممتدة من (1925- 1930) مرحلة مفصلية اذ عجز فيها عن الاستقرار في عمل مثالي بعد تخرجه من مدرسة قسنطينة، حيث أن هذا التذبذب المهني لم يكن ناتجا عن فراغ او تشتت، بل كان انعكاسا لحالة شاب فطنا مثقلا بالأحلام والطموحات يبحث لنفسه عن الموقع وسط واقع استعماري مضطرب **(أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، 1998، صفحة 214)**.

خاض بن نبي تجارب مهنية لم تلبي طموحه الفكري والأخلاقي اذ عمل ككاتب عدل في المحكمة الشرعية بأفلو، ثم بعدها انتقل للعمل بمحكمة شلغوم العيد المعروفة آنذاك باسم شاتودان غير ان احتكاكه المباشر بجهاز العدالة كشف له عن مظاهر الانحراف واللامسؤولية، حيث اصطدم بممارسات لاأخلاقية من قبل كاتب محكمة الصلح الأمر الذي دفعه لتقديم استقالته رافضا أن يكون شاهدا على الظلم أو شريكا في شرعيته، بعدها انخرط كشريك في مطحنة لصهره لكن لم تنجح هذه المطحنة **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 35)**.

من خلال فترة عمل مالك داخل الجزائر وقبل هجرته لفرنسا خلص إلى ان المشكلة الجوهرية لم تكن فقط في هيمنة المستعمر، بل في الواقع المهتري الذي يعيشه المجتمع الجزائري، حيث كشفت له تجاربه في مختلف الإدارات حجم الانحطاط الأخلاقي والثقافي الذي أصاب بعض النخب حينها، حيث ساد التواطؤ والمصلحة الذاتية في غياب تام لروح المسؤولية، ومواجهة التغريب لدي مالك لا تتم ظاهريا فقط برفضه إنما بإعادة بناء مهد الأمة الحضاري.

2. بن نبي الطالب والمفكر (1930-1963):

1.2. مالك من دفع التغريب إلى الاغتراب:

أسدل بن نبي فصل من فصول تعليمه الثانوي بقسنطينة سنة 1925، لكنه لم يغادر الجزائر حينها كما قد يتوقع بل أثر البقاء على أرضها مدة خمس سنوات أخرى، عاش فيها تجارب حياتية وفكرية متنوعة، إلى ان حل عام 1930 ليشد الرحال إلى فرنسا لمواصلة دراسته العليا حاملا معه طموحا لا يعرف الانطفاء، بعد أن ظل لمدة يصغي لصوت أفكاره وهي تتشكل في اعماقه إلى ان ناداه طموحه للمضي نحوها.

شهد شهر سبتمبر من عام 1930 انتقال ابن نبي إلى مدينة باريس التي ستحتضن مخاض أفكاره الأولى، كطالب قطع أميالا بحثا عن العلم ومؤمنا انه لا يولد من عزلة، وهناك في أجواء باريس المزدحمة والصاخبة قضي مالك أيامه الأولى متأملا وملاحظا يبحث عن دروب وسبل ترتيب حياته الاجتماعية، بما يتيح له الاستقرار ومواصلة دراسته العليا، وعلى هذا النحو قادته خطواته إلى ناد يعرف باسم الوحدة المسيحية للشباب الباريسين، وسرعان ما أصبح عضوا في هذا النادي وانخرط في أنشطته مستكشفا من داخله البنية الاجتماعية والثقافية التي تشكل الانسان الأوروبي، ونخرط بن نبي كعضو مسلم يحمل معه خصوصيته الثقافية والروحية ميزت حضوره داخل هذا المحيط **(بن قينة، 1995، الصفحات 322-323)**.

حل الموعد المنتظر لمالك بن نبي تقدم لاجتياز امتحان الدخول لمعهد الدراسات الشرقية [1]، اذ بدا له الامتحان سهلا سلسا لا يستدعي الكثير من القلق، غير ان النتيجة جاءت صادمة له وتمثلت في رسوبه في الامتحان واستدعاه مدير المعهد حينها ليبلغه بصراحة انه لا جدوى من الإصرار على دخول المؤسسة، اذ ان الحقيقة كانت واضحة وهي غياب النزاهة العلمية وحضور التمييز الذي لطالما فر منه مالك، وهذا ليس بالشيء الغريب على الطلبة الجزائريين بفرنسا فهو جزء من واقع مألوف، ونظرة فرنسا التي كانت تراهم من فئة الأهالي وليس كمواطنين كاملي الحقوق، وفي مرتبة أدنى من الأوروبيين وهو شعور عمق لدى مالك الاغتراب داخل المؤسسات الخاصة بالدولة المستعمرة **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 216)**.

أثناء إقامة مالك في باريس وذات يوم لما كان مع صديقه روني في السكن، لاحظ خروج فوج من الطلبة من أحد معاهد اللاسلكي فاقترح عليه صديقه الانتساب لدراسة هذا التخصص بصفة مساعد مهندس رحب بن نبي بالفكرة وسرعان ما بدأ مشواره العلمي في هذا المجال، وقد شاءت الأقدار أن يعثر على مجموعة من كتب الأب مورو المعروضة في إحدى مكتبات باريس، تحت عنوان سلسلة لتفهم فتولد في نفسه شغف كبير لفهم أسرار الجبر

[1] **معهد الدراسات الشرقية:** تم إنشاء المعهد في فرنسا في القرن 18م، وكانت اللغة العربية أولى اللغات التي درست فيه سنة 1795 مع التركية والفارسية، حيث كانت المدرسة ترمي لتعليم القناصل ورجال السياسة والسلك الدبلوماسي اللغة العربية وبعض الآداب الشرقية لتتوسع بعد ذلك في دروسها، ويعد من أبرز المدارس الاستشراقية واغناها فكرا واخصبها انتاجا، وللمزيد من المعلومات أنظر: **(برقية، 2021-2022، صفحة 56)** و **(النهان، 2012، صفحة 22)**.

والهندسة والكهرباء والميكانيك، ومنذ تلك اللحظة انقلب مسار تفكيره رأسا على عقب وسكن فيه ما سماه لاحقا بشيطان العلوم **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، الصفحات 218-219)**.

ينتقل مالك في هذه المرحلة إلى فهم العالم من زاوية علمية وهندسية، وبدأت فيها مظاهر شخصيته تتشكل، بحيث أصبح لا يكتفي بالظاهر فقط، إنما توجه للبحث عن جوهر الأشياء ففهم موجات اللاسلكي مبني على الفهم العميق الذي سيبرز لاحقا في فكره لفهم الحضارة.

غادر جسد مالك الجزائر لكن روحه بقيت معلقة بها ولم تنقطع صلته بقضايا الجزائر، بل واصل التعبير عن أفكاره الإصلاحية والوطنية بكل جرأة وجاهر بمواقفه المناهضة للاستعمار، حتى في المناسبات التي تفرض فيها القيود على حرية التعبير.

تم تأسيس مركز مخصص لطلبة شمال افريقيا المسلمين في الحي اللاتيني بالتحديد في شارع لودرو رولان، هناك أين كانت إدارة الاستعمار تسعى لفك الارتباط بين الطلبة وذلك بتسخير الانفصاليين منهم (الطلبة الجزائريين) المتمسكين بالبربرية، حيث كان الصراع بينهم وبين الوحدويين، فاتخذ مالك موقفا ضد المنشقين (الانفصاليين) وبدأ ينشط في الحي اللاتيني ويدعو للإصلاح والوحدة المغاربية **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، الصفحات 227-228)**، في هذه الفترة بالذات يزداد نشاط مالك للحد الذي يجعله مراقبا من قبل المصالح الأمنية الاستعمارية، خاصة بعد مشاركته في إحدى نشاطات نجم شمال افريقيا وجمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا، اذ انتخب نائبا لرئيسها، ألقى بن نبي أولى محاضراته في ديسمبر 1931 بعنوان لماذا نحن مسلمون وبها ذاع صيته أوساط الطلبة، وفي الوسط الباريسي إلى ان سمع عنه المستشرق لويس ماسينيون **(عويمر، 2007، الصفحات 14-15)**.

ارتبط بن نبي بصداقة وطيدة مع حمودة بن الساعي خلال فترة اقامتهما بباريس، حيث جمعتهما نزعة إسلامية تجلت في سلوكهما وأخلاقهما، وهذا ما ميزهما عن اقرانهما من الطلبة المسلمين آنذاك.

شكلت هويتهما الإسلامية عنصرا ثانيا في وعيهما حيث لم تكن مجرد موروث ديني، بل انتماءا راسخا في ظل حاصنتا لذاتهما الفكرية في بيئة اغتراب ثقافي، وهو ما يعكس قوة الارتباط بالهوية رغم محاولات الذوبان في النموذج الغربي السائد، زاد هذا الوعي بالانتماء رسوخا حيث أخبر حمودة بن الساعي صديقه مالك برغبة المستشرق ماسينيون في لقائه لمناقشة بعض قضايا الإسلام وهو اللقاء الذي تعامل معه مالك بحذر شد يد اذ كان يسميه: "العنكبوت"، لاقتناعه بأنه لا يسعى للحوار من باب المعرفة، بل لمحاولة استغلال أفكاره وتوظيفها لصالح رؤى استشراقيه لا غير **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، الصفحات 25-26)** مثل: احتكاك مالك بماسينيون من خلال لقاءاته معه نقطة تحول وإدراك مبكر وصل فيها لضرورة التحرر من الفكر الغربي والبحث عن مشروع نهضوي إسلامي بحت خالي من تصورات الغرب.

كثيرا ما كان مالك يعكس لنا حالة الاغتراب الحضاري التي كان يعيشها الطالب المسلم في سياق الاحتلال والهيمنة الغربية، اذ يصف كيف كانت لحظات مطالعة بسيطة لبرامج جامعية في باريس تجعله يدخل في تأملات

فلسفية عميقة، وتبرز له من خلالها الفجوة الهائلة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بل كان يمس كرامة الانسان، وهنا يشير أيضا إلى غياب هذا الوعي لدي كثير من الطلاب المسلمين آنذاك **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، الصفحات 47-48)**.

2.2. مالك بن نبي في مهب الأفكار:

انخرط بن نبي خلال فترة إقامته بباريس في نشاط توعوي مناهض للسلطة الاستعمارية، حيث عمد إلى كتابة منشورات تندد بالممارسات الاستعمارية في العالم الإسلامي وشارك في توزيعها رفقة زميله حمودة بن الساعي[1].

وفي هذه المرحلة توثقت علاقاته بعدد من الطلبة العرب المقيمين بباريس الذين سيبرز بعضهم لاحقا كأعلام في الفكر من أمثال محمد عبد الله دراز، ومحمد المبارك، وصبحي الصالح، اذ ساعد البعض منهم على تعلم الفرنسية، وانفتح على المشرق العربي بفضلهم، اذ ساهم هذا الجو في تحفيز رغبته في الذهاب لمصر لدراسة مناهج التفسير في الجامع الأزهر **(عويمر، 2007، الصفحات 15-16)**.

كما تعرف مالك أيضا على مجموعة اخرى من الطلاب في الحي اللاتيني أمثال صالح بن يوسف من تونس ومحمد الفاسي من المغرب وفريد زين الدين من سوريا، حرص مالك على متابعة النشاط الفكري السياسي للأمير شكيب أرسلان أحد أبرز دعاة الوحدة الإسلامية في تلك الفترة خاصة من خلال مقالاته التي كان ينشرها باللغة الفرنسية في صحيفة الامة العربية الصادرة من سويسرا.

شكلت هذه المتابعة نافذة لمالك مكنته من الاطلاع على قضايا العالم الإسلامي من منظور إصلاحي وحدوي، اذ رسخت له أهمية الاعلام في معركة التحرر الفكري وكذا السياسي.

لاحظ مالك من خلال انشغاله واحتكاكه بفئة من النخبة الإسلامية اهتمامها بالمطامع السياسية وحب الظهور في المراكز والمناصب على حساب الانشغال بالقضايا الجوهرية للامة الإسلامية، هذا ما زرع لديه اهتماما مبكرا بدور النخبة في مشروع النهضة، لكنه كان محظوظا برفيقه حمودة بن الساعي الذي كان يتقاسم معه نفس المشرب الفكري فيما تعلق بإيمانهم المشترك بدور الإسلام كركيزة أساسية للنهوض بالأمة الإسلامية، كان اهتمام بن الساعي بالدراسات الفلسفية والاجتماعية والتاريخية ينتقل لمالك اذ أشاد مالك بدور صديقه حمودة الكبير في توجهه للاهتمام بهذه المجالات، حيث ذهب ككاتب متخصص في شؤون العالم الإسلامي ومال له أكثر من اهتمامه السابق بمواد اللاسلكي **(العبدة، 2006، صفحة 34)**.

كان نقص الشعور بالمسؤولية الحضارية وانعدام الاهتمام الجاد بالقضايا الكبرى لدى النخبة المسلمة التي تعرف عليها مالك يؤسفه كثيرا، حيث أن فرصة تواجدهم في باريس هي فرصة ذهبية لو استغلوها في التفكير في قضايا وشؤون العالم الإسلامي واكتساب الوعي وتحمل المسؤولية، لكنها تحولت عند البعض منهم إلى مناسبة للترف وتضييع الوقت بين المرطبات والحلويات في متاجر باريس ومغازلة الفتيات.

---

[1] **حمودة بن الساعي:** هو مثقف جزائري ومفكر، وكان طالب في جامعة السوربون بفرنسا خلال الثلاثينيات صاحب أطروحة حول أبي حامد الغزالي في الفلسفة وصديق بن نبي المقرب، وللمزيد من المعلومات أنظر: **(قسوم، 2015، صفحة 1)**.

كان مالك يستثني شخصين او ثلاثة على غرار السوري فريد زين الدين والمصري القبطي فريد صليب، حيث كانا يتميزان في نظره بشخصية قوية، بينما كانت البقية تعاني من غياب الحافز الداخلي والشعور بالمسؤولية الحضارية **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، صفحة 48)**، ويتعرض لهذه الفكرة بقوله المستعمر بكسر الميم والمستعمر بفتح الميم. بان مشكلة الجزائر ليست مجرد قضية سياسية بل في جوهرها مشكلة حضارية **(كامل مسقاوي، 2013، صفحة 131)**.

في إطار بحث مالك الدؤوب عن المعرفة شهدت سنوات إقامته بباريس خصوصا عام 1942 انفتاحا لافتا على المكتبات، حيث كانت مكتبة (sainte-Geneviève) إحدى المحطات الأساسية التي مكنته من الاطلاع على رصيد معرفي خام، وأيضا مكتبة (lUgGC) التي ساعدته على بلورة نسقه الفكري والثقافي، وانعكست هذه الخلفية على مهاراته التعليمية، وكذا التأليف بفرنسا، وتعتبر بمثابة تحدي من مالك للواقع الاستعماري الذي كان يسعى لترسيخ عقد الدونية في نفوس أبناء المستعمرات بادعاء عجزهم عن الإنتاج والابداع **(المهدي الهجالة و ذهاش، 2022، صفحة 10)**.

بدأ مالك مشروعه الفكري بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أصدر أول مؤلفاته: الظاهرة القرآنية سنة 1946 بالفرنسية في باريس، تتبعها رواية لبيك حج الفقراء 1947، ثم كتاب شروط النهضة 1948، وجهة العالم الإسلامي 1949، حيث سعى بن نبي من خلال هذا المؤلف الأخير لوضع أسس نظرية لإحياء حركة الإصلاح في العالم الإسلامي الا ان ردود بعض المثقفين من داخل الجزائر جاءت سلبية ليست بسبب المضمون الذي احتواه، إنما بسبب موقفه من الطرقية، ورؤيته لطبيعة العلاقة بين العلم والدين واعتبرها البعض مواقف تضر بالقضية الوطنية والتقاليد الشعبية بنشرة إحدى الصحف التابعة للأحزاب الوطنية مقالة من حلقتين بعنوان خطوة خاطئة نحو الجنوب وتعرضت فيها لنقد الكتاب **(بريون، 2010، الصفحات 124-125)**.

من بين الإدانات الواسعة ضد مؤلف بن نبي ما تم العثور عليه في الأرشيف الفرنسي وهو قصاصة من جريدة الجزائر الجمهورية في نشرتها ليوم 23مارس 1949 تتحدث عن انتقادات الطلبة بجامعة الجزائر لكتاب شروط النهضة في ندوة نظمت بدار الطالب فحواها مفهوم القابلية للاستعمار الذي اعتبروه طرحا خطيرا يحمل في طياته تبريرا ضمنيا للوجود الاستعماري، بل ويمنحه في نظرهم شرعية أيديولوجية كان من المفترض نزعها، لا تثبيتها حسب اعتقادهم وللأسف أثارت هذه الردود أسى في نفس مالك الذي كان يعتبر الطلبة مفعلين لمشروع شروط النهضة الذي نادى به لا مهاجمين له **(شروانة و علاوة، 2020، الصفحات 28-29)**.

جاء رد مالك على مجموع الانتقادات الموجهة لمؤلفه بمحاضرة ألقاها في قسنطينة بمعهد ابن باديس، حيث شرح فيه أفكار الكتاب الذي جاء باللغة الفرنسية للنخبة المشعرية، ثم حاضر بعدها بالفرنسية حول نفس الأفكار للنخبة المتفرنسة **(بريون، 2010، صفحة 125)**.

3.2. رحلة بن نبي إلى مصر(1956-1963):

تزامنا مع احتدام المواجهة بين الثوار الجزائريين والقوات الفرنسية في الجزائر، كانت المخابرات الفرنسية تراقب تحركات مالك بن نبي من خلال موقع مرتفع يشرف على منزله الصغير في القرية الواقعة على حرف واد (chérisy) فقرر الانسحاب من تحت انظارها ليخوض المعركة ضد الاستعمار بشكل مباشر ويضع مقالاته الانتقادية جانبا.

غادر بن نبي فرنسا في شهر افريل عام 1956 متوجها إلى مصر (القاهرة)، حيث مقر المفوضية الخارجية لجبهة التحرير مع صديقه صالح بن ساعي الذي رافقه في عبور جبال الالب وصولا للبحر الأبيض المتوسط، حيث استقلا الخط البحري جنوة الإسكندرية **(كامل مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي، مسار نحو البناء والجديد، 2013، صفحة 612)**.

صرح بن نبي انه فور وصوله القاهرة وضع نفسه تحت تصرف الثورة التحريرية، حيث انه لم يكتفي بالتصريح الشفاهي فقط، إنما عبر عن التزامه هذا كتابة موجها خطابا رسميا إلى ممثلي جبهة التحرير الوطني، وذلك في 1 سبتمبر 1956 موضحا انه حضر القاهرة للقيام بواجبين، حيث تعلق واجبه الأول بمهامه الفكرية ككاتب، لذا كان يسعى لنشر كتابه الفكرة الافريقية الاسيوية، أما واجبه الثاني كان مرتبطا بكونه جزائريا مساهما في الكفاح ضد الاستعمار منذ ربع قرن ليواصل نضاله هذا مؤمنا أن دوره كمثقف لا ينفصل عن واجبه كمجاهد يحمل هذا التحرر الوطني في فكره وممارسته (بن نبي، في مهب المعركة إرهاصات الثورة، 1981، الصفحات 80-81)، في هذه الفترة بالتحديد لم تكن زوجة مالك خديجة حاضرة معه في القاهرة، إنما بقيت في فرنسا بسبب تدهور حالتها الصحية، وظل مالك يراسلها بشكل دوري ويرسل لها مساعدات مالية وفي مصر تزوج ثانية **(ميلاد، 1998، صفحة 47)**.

حرص مالك طيلة هذه الإقامة على الانفتاح على الأوساط الفكرية والإعلامية والسياسية ساعيا من خلالها لبناء شبكة علاقات مع صحفيين وعلماء ومفكرين مصريين، فضلا عن النخب العربية المقيمة هناك.

من بين المحطات التي ساعدت على نشر اسم بن نبي في الأوساط العربية هو الحوار مع الصحفي والكاتب المصري احسان عبد القدوس المنشور في مجلة روز اليوسف، اذ سمع عنه الطلبة العرب وكافة الفئات المثقفة عن صاحب نظرية القابلية للاستعمار **(عويمر، 2007، الصفحات 20-21)**.

كان حضور مالك في الساحة الفكرية غير منعزل عن التزامه الوطني، بل ان اقامته هناك في مصر شكلت مرحلة مفصلية عبر فيها عن اندماجه الكامل في المشروع التحرري.

كان منزل العلامة محمود شاكر[1] بمثابة ملتقى فكري وثقافي تجتمع فيه نخبة من المفكرين والسياسيين المهتمين بالتراث العربي والإسلامي أمثال احسان عباس، يحي حقي، عبد العزيز الميمنى، علال الفاسي، صالح بن يوسف، عبد الله التل، وكان بن نبي أيضا من بين الحاضرين الذين استفادوا بدورهم من مكتبة التي تمثل موردا علميا ثريا **(عباس، 2006، صفحة 211)**.

لم يكن موقف رجال الثورة مشجعا لمالك لمواصلة التعاون معهم، اذ تم تعينه لفترة ضمن من يكتبون عن الثورة باللغة الفرنسية مقابل راتب رمزي قدره عشرون جنيا مصريا لتغطية نفقات معينة، غير ان هذا الدعم انقطع لاحقا ما اضطره لعيش فترة صعبة.

تولت الحكومة المصرية تعيين بن نبي مستشارا في المؤتمر الإسلامي الذي كان يشغل أمانته آنذاك أنور السادات، وقد استمر مالك عمله هذا في المؤتمر الذي تحول فيما بعد إلى ما يعرف بمجمع البحوث الإسلامية.

انكب بن نبي خلال هذه الفترة على توسيع معارفه، حيث فتح بيته في القاهرة ليكون فضاءا علميا مفتوحا أمام الطلبة والمثقفين بحلقاته الفكرية المنتظمة التي تتسم بطابعها الحواري والنقاشي، ما جعل منه مرجعا حيا للعديد من الباحثين والمهتمين بقضايا النهضة والفكر الإسلامي، في هذا الصدد يذكر الدكتور طالبي أحد تلاميذ بن نبي عن مجلسه العلمي الذي كان يستقطب الطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي من جاكرتا إلى طنجة، حيث هناك أتيحت لهم الفرصة للاستيقاظ على المشكلات الجوهرية التي لم تطرح في محاضرات الجامعة فانخرطوا هناك في نقاشات حية وتحليلات دقيقة **(بن حمد العويسي، 2011، صفحة 124)**.

اقترح الطلاب على بن نبي فكرة اصدار كتاب شروط النهضة باللغة العربية، حيث كانت أولى الخطوات لهذا العمل في أكتوبر 1956 أيام العدوان الثلاثي على مصر، اذ يذكر لنا المحامي عمر كامل مسقاوى أنه وقتها كان قد توقف مؤقتا عن دراسته بسبب الظروف الخاصة بالبلاد، واستغل ذلك في الانكباب على كتاب شروط النهضة بإشراف مالك نفسه الذي أضاف فصول للكتاب في صيف 1957، وينضم أيضا الطالب عبد الصبور شاهين المتخرج من كلية دار العلوم لمالك، حين علم أنه ملم باللغة الفرنسية لمراجعة ما أنجزه عمر مسقاوى من الكتاب سواء كان صياغة أو أسلوبا **(كامل مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي، مسار نحو البناء الجديد، 2013، صفحة 53)**.

رغم شهرة مالك بن نبي التي ذاعت في الأفاق الا أنه بقي زاهدا ومتواضعا وكأن الشهرة لم تغير من جوهره شيئا، حيث كان يرى في العلم رسالة لا وسيلة في الظهور، ويشهد على هذا الزهد والتواضع صديقه وتلميذ

[1] **محمود شاكر:** من كبار أعلام الادب العربي في مصر، ابن الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر وأمين دار الفتوى هو شاعر مشهور بالعديد من القصائد مثل: القوس العذراء، انصفي يا رياح، وهو مشهور بمنهج التذوق في الادب العربي، وللمزيد من المعلومات أنظر: **(حاتم مجدي بسيسو، 2004، صفحة 5)**.

الأستاذ فوزي الحسن، حيث قال عنه أنه كان يترجم إسلامه في سلوكه وأعماله وأقواله، فحين سكن في منزل وأحد وجده في حالتين لا ثالث لهما إما عابدا وإما مفكرا وكاتبا، فإذا شباك غرفته مغلقا فهو عابد مسبح وإذا كان مفتوحا فهو كاتب.

لم يكن مالك يلهث وراء اللهو، ولم يعرف عنه ميل للترف أو التسلية، بل عاش حياة ملؤها الجد والانضباط يسكنه هاجز الإصلاح وتحركه فكرة الحضارة **(عويمر، 2007، صفحة 23)**.

وكانت تجربة مصر فريدة من نوعها لدى ابن نبي، اذ ساهمت في تأكيد دوره كصاحب رسالة لا مجرد كاتب. كما وسعت من دائرة التأثير والتأثر بفكره وشخصه في العالم الإسلامي، حيث كانت مصر بالنسبة له تجربة جمعت بين الفكر والسلوك، بين الكتابة والممارسة فصقلته على المستوى الشخصي والروحي.

4.2. مؤلفاته الفكرية:

يعد مالك بن نبي من أبرز المفكرين الجزائريين في القرن العشرين، وقد تميز مشروعه الفكري بالشمول والعمق في معالجة قضايا النهضة، الاستعمار، الحضارة، والدين، خلف لنا رصيدا غنيا من المؤلفات التي حملت عناوين دالة، تعكس اهتمامه ببناء الإنسان والمجتمع ضمن رؤية حضارية متكاملة، لم تكن كتبه مجرد نظرات نظرية، بل محاولات جادة لتشخيص واقع الأمة الإسلامية ووصف السبل الممكنة لاستعادة فاعليتها التاريخية، ومن خلال مؤلفاته تتضح ملامح فكره الذي جمع بين التحليل الفلسفي والرؤية السوسيولوجية والنقد الحضاري.

الظاهرةالقر آنية (Le phénoménecoronique) 1946:

تم نشره سنة 1947 في دار النهضة للأخوين ميمونى، وقام بترجمة للعربية السيد عبد الصبور شاهين في 1957، وقام بالتقديم له كل من محمود شاكر والشيخ محمد عبد الله دراز، طبع مرات عديدة ونشرت حوله دراسات بلغات مختلفة، عدد صفحات 328، يعتبر كتاب الظاهر القرآنية أول كتاب لمالك بن نبي وأول إنجاز علمي وأدبي الذي أسس لمفهوم البداية في أفق النهاية.

من دوافع نشره وهو أن تتيح للشاب المسلم فرصة التأمل الناضج في الدين والقرآن الكريم لسمو كلامه عن كلام البشر، واعتباره نقطة تحول في حياة المجتمعات الإسلامية، ودستورا لها، وكذا محاولة تقديم إصلاح مناسب للمنهج القديم في تفسير القرآن وفكرة الكتاب، فحواها أن القرآن ليس مجرد نص ديني، إنما هو رمز للحضارة الإسلامية وسبلها نحو التقدم والإصلاح.

لبيك حج الفقراء (Lebberkpèlerinage de pauvre) 1947:

ترجمة زيدان خوليف وتصدير عمر مسقاوي، عن دار الفكر دمشق 2009 عدد صفحاتها 157 عبارة عن رواية وإحدى إبداعات مالك في الأدب الفرنسي، جاءت لترسم لنا ببساطة مدى عمق الروح الجزائرية في نموذج قصة إبراهيم وزهرة فيها نوع من العفوية والطرافة، ولهذا يمكن اعتبارها أيضا رواية فلسفة ورمزية، تلخص لنا

واقع الجزائريين، حيث مؤثرات النمط الأوروبي طغت على الجو العام آنذاك، وكذلك تظهر لنا كيف يمكن للإنسان القيام يجح فكري يطهر فيه نفسه من الجهل وتبعية.

شروط النهضة (Les conditions de la renaissance) 1948:

العنوان لأصلي للكتاب هو (Discours sur les conditions de la renaissance algerienng) يقابله بالعربية خطاب عن شروط النهضة الجزائية.

قام بترجمة للعربية عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، وقدم الطبعة الفرنسية عبد العزيز خالدي، نشر بدار الفكر عام 1960، عدد صفحاته 160صفحة.

تناول هذا الكتاب فقرة هامة مفادها أن نهضة الأمم لا تتحقق إلا إذا توفرت شروط داخلية في الانسان والمجتمع، وركز على أن القابلة للاستعمار هي السبب الأساسي في تخلف الشعوب وليست قوة الاستعمار بحد ذاته، كما تطرق لعناصر الحضارة ومركباتها.

وجهة العالم الإسلامي (vocation deislam) (1949-1950):

ترجمة لعبد الصبور شاهين وتقديم الأستاذ محمد المبارك، دار الفكر د مشتق، جاء هذا الكتاب في جزئين الأول في 1954 والثاني في 2012، يدرس هذا الكتاب مشاكل العالم الإسلامي المشتركة ويبسط فيها معالم الطريق في عالم ما بعد الحرب العالمية الثالث، ويبين أن الخروج من الاحتلال السياسي فقط غير كافي، إنما هو التحرر أيضا من الاستعمار التربوي الثقافي.

صدر الجزء الثاني من كتاب وجهة العالم الاسلامي تحت عنوان: "المسألة اليهودية" في سنة 2021 بدار الفكر، إذ أفرج عنه عمر مسقاوي الوصي عن فكر مالك بعد عقود من الزمن، إذ تم حجبه لما كان مالك يكتب آخر سطر فيه إبان الحرب الكورية، حيث تناول فيه قضية اليهود في أوروبا وكيف ساهموا في تأسيس قوى اقتصادية وثقافية وتأثيرهم على الأحداث العالمية مشيرا إلى عمق التحدي منطلقا من القضية الفلسطينية.

فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ (LAfro-Asiatisme) 1956:

قام بترجمته عبد الصبور شاهين، عن دار الفكر دمشق، يحتوي على 271 صفحة، وتختلف الصفحات حسب الطبعات، ألفه بن نبي في فرنسا وأخذه لمصر إن صدر بعد عام من عقد مؤتمر باندونغ، حيث قدم فيه بن نبي خليفة تاريخية لهذا المؤتمر الهادف لمناقشة قضايا التحرر من الاستعمار، مشيرا لأهداف المؤتمر، وفكرة مساهمة المؤتمر في نشر التعاون بين الدول الإفريقية والأسيوية وقدم فيه رؤية استراتيجية للتعاون الذي من شأنه مواجهة التحديات المشتركة لتحقيق مستقبل أفضل.

الصراع الفكري في البلاد المستعمرة (lafro idéologique) 1957:

تحت إشراف عمر مسقاوي. دار الفكر د مشق، عدد صفحاته 146، يعتبر هذا الكتاب أولى محاولات بن نبي في الكتابة باللغة العربية بعد أن كان يكتب بالفرنسية، وجاءت فكرة الكتاب كإشارة لخطورة الاستعمار ومدى تأثيره على المجتمعات المستعمرة لاسيما في الجانب الثقافي، ويصور لنا الكتاب مجموع الصراعات الناتجة من الاحتكاك بين الثقافتين، وإبراز دور الفئة المثقفة من أبناء البلاد في التعريف بثقافتها والمحافظة عليها في خضم ذلك الواقع المعاش تحت وطأة الاستعمار.

فكرة كمونوولت إسلامي (idée d'un Commonwealth islamique) 1958:

ترجمة الطيب الشريف وقدم له عمر مسقاوى، كانت الطبعة الأولى في القاهرة 1960، يحتوي على 97 صفحة.

جاءت فكرة الكتاب أساسا من المصطلح الإنجليزي كمونوولث ذاك الوضع السياسي الجماعي والموحد، وتطرق أكثر للجانب الجغرافي والاجتماعي، وأشار بن نبي لحاجة المجتمع الاسلامي لهذه الفكرة، بحيث تكون مشابهة للكمنوولت البريطاني، لكنه يقتصر طبعا على القيم والمبادئ الإسلامية وإنشاء كيان إسلامي مبدأه التعاون والوحدة في العديد من الجوانب كالثقافية الاجتماعية، الاقتصادية، السياسة، ولا يكون هذا إلا بمواجهة التحديات المشتركة التي تواجهها الأمة خاصة ما تعلق بفقر المفاهيم وتعلقنا بالأشياء بدل الأفكار.

مشكلةالثقافة 1959:

ترجمة لعبد الصبور شاهين، دار الفكر وتصدير عمر كامل مسقاوي، عدد الصفحات 152 صفحة.

تطرق هذا الكتاب لأفكار ما لك حول مفهوم الثقافة برؤية جديدة ومختلفة، لهذا قام بجمعها في هذا الكتاب في شكل تحليلي، إذ وظف مفهوم الثقافة وأهميتها في البناء الحضاري واقترح حلولا لتجاوز هذه المشكلة.

تأملات 1960 – 1961:

تقديم تقديم عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، جاء هذا الكتاب في سنة 1960 تحت عنوان: "حديث في البناء الجديد" واحتوى خمس محاضرات، أما في 1961 جاء بعنوان: "تأملات في بعض مشكلاتنا" وبمقتضى وحدة الموضوع تم جمع الكتابين معا تحت عنوان مستقل وهو: "تأملات"، تناول الكتاب واقع مجتمعنا من الإسلامي بالتحليل موضحا أسباب تخلفه ومبرزا دور الانسان واعتبار المحرك الأساسي للنهضة، حيث يبرز مشكلتنا التي هي عبارة عن مشكلة مركبة وعميقة فبالتالي حلولها مركبة.

ميلاد مجتمع 1962:

ترجمة لعبد الصبور شاهين، دار الفكر، الطبعة الأولى بالقاهرة، وطبع أيضا والجزائر بإذن من دار الفكر مشق، وبالتعاون مع الملكية للإعلام والنشر والتوزيع.

يعالج مالك بن نبي في هذا الكتاب مسألة تكون المجتمع من زاوية فلسفية وسوسيولوجية وما يؤثر فيه، وذهب لفكرة مفادها أن المجتمع لا يتكون صدفة، إنما نتيجة تفاعل ثلاثة عناصر وهي الانسان، التراب، الزمن، وهذه القاعدة المادية لكل بناء حضاري حسب مالك.

آفاق جزائرية (perspectives, algériennes) 1964:

ترجمة لعبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، تضمن هذا الكتاب مجموعة من محاضرات بن نبي التي قام بإلقائها في الجزائر بعد الاستقلال (للحضارة، للثقافة، للمفهومية)، وجاء هذا العنوان ليدل على الرؤية المستقلة للجزائر بحيث يعد تصورا عميقا لمالك حول الجزائر المستقلة وانطلق من فكرة جوهرية مفادها أن الاستقلال ليس تحرر كامل فلا نهوض لأمة بدون وعي حضاري.

شاهد القرن (الطفل، الطالب) (1969 - 1970):

هو السيرة الذاتية لمالك بن نبي التي تتجاوز البعد الشخصي لتتحول إلى شهادة حية على قرن من التحولات الكبرى التي شهدها العالم الإسلامي خاصة والعالم عامة خلال فترة القرن العشرين.

- **الطفل (1905 - 1930)**: وقد ترجمه مروان القنواتي ونشرته دار الفكر بدمشق مع جزء الطالب في كتاب واحد، يعتبر هذا الجزء مدخل الطفولة بن نبي، وكذا الخلفية الثقافية والاجتماعية التي نشأ فيها بمراحل طفولته كنموذج معبر للواقع الجزائري آنذاك تحت الهيمنة الاستعمارية.
- **الطالب (1930 - 1939)**: وقد ترجمه مالك بنفسه، وتناول هذا الجزء انتقال مالك لفرنسا لمواصلة دراسته العليا، وكذا على ظروف وتفاصيل عيشه في الوسط الأوروبي، حيث تبلور هناك وعيه الفكري وبدأ يهتم بمشكلات العالم الإسلامي.

إنتاج المستشرقين والأدباء و أثره في الفكر الاسلامي الحديث (Loeuvre des orientalistes) 1967:

دار الارشاد، بيروت، الطبعة الأولى في 1969، عدد الصفحات 62، تناول هذا الكتاب نقدا للفكر الاستشراقي وتحليله من زاوية فكرية إسلامية، حيث قدم فيه قراءة نقدية لمساهمات المستشرقين في إنتاج المعرفة في العالم الإسلامي تحديدا من خلال كتاباتهم عن المفكرين المسلمين.

مشكلة الأفكار في العالم الإسلام 1970:

ترجمة لبسام بركة أحمد شعبو، تقديم وإشراف عمر مسقاوى دار الفكر، الطبعة1 في 1988، عدد صفحات 184.

تطرق مالك في هذا الكتاب إلى دور الفكرة في نداء الحضارة، ويشرح لنا كيف تحولت الأفكار في العالم الإسلامي من أدوات نهضة إلى عوائق أمام التقدم، مبرزا أن الأزمة الأساسية التي يعاني منها العالم الإسلامي ليست

مادية بقدر ما هي فكرية، حيث أن تقدم المجتمعات مرتبط بطبيعة الأفكار المنتشرة فيها سواء كانت أفكارا حية قادرة على التغيير أو أفكارا ميتة عاجزة على الفعل.

المسلم في عالم الاقتصاد 1972:

عن دار الفكرد مشق، عدد صفحاته 112، سلط بن بني الضوء في هذا الكتاب على علاقة الانسان المسلم بعالم الاقتصاد الحديث، وكيف له أن يكون فاعلا في على عالم الاقتصاد، ولا يفقد قيمه وأخلاقه الإسلامية، وكما يرى مالك أن المسلم لا بد أن يتخلص من روح الاستهلاك، وكذا التقليد ويتحول بدوره إلى منتج وفاعلا حضاريا.

دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين 1972:

تقديم عمر مسقاوي، دار الفكر دمشق ودار الفكر الجزائر، حيث طبع بالجزائر وبإذن من دار الفكر دمشق، بالتعاون مع الملكية للإعلام والنشر والتوزيع، عدد صفحاته 64 صفحة، ركز بني في هذا الكتاب على فترة جد حساسة والمتمثلة في الثلث الأخير من القرن العشرين وهو عبارة عن خطاب فكري وتاريخي موجه للمسلمين، حاول فيه تحديد مهمة الانسان المسلم الحضارية التي وجه عليه الاضطلاع بها في خضم هذه التحولات الكبيرة التي شهدها العالم حيث تتصارع الإيديولوجيات.

بين الرشاد والتيه 1972:

تقديم عمر مسقاوي، دار الفكر، 215 صفحة، تدور فكرة هذا الكتاب حول العالم الإسلامي الذي ظل في طريق النهضة وسقط في تيه حضاري نتيجة مفاهيم مغلوطة وسلوكيات خاطئة، ويوضح بن نبي الفرق بين السير على طريق الرشاد الذي يقصد به الطريق الصحيح نحو الحضارة وبين آليته الذي يعني التخبط والضياع المعاش بسبب الانبهار بالحضارة الغربية والجمود الفكري.

مجالس دمشق 1972:

عن دار الفكر دمشق، الطبعة 1، في 2005، والطبعة في 2006، المقدمة بخط يد مالك بن نبي نفسه، وهناك مقدمة لعمر مسقاوي حول إصدار مجالس دمشق عدد صفحاته 192، هذا الكتاب هو عبارة عن محاضرات ألقيت من طرف مالك بن نبي بين عامي 1971 - 1972 حول دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ويوثق هذا الكتاب سلسلة من اللقاءات الفكرية والنقاشات التي كانت تصير ببيت الأستاذ عمر فروخ بدمشق، أين كان يحضر مالك وتم فيها مناقشة العديد من القضايا كالنهضة، الحضارة، دور المثقف المسلم، العلاقة بين الدين والعلم والسياسة، الفكر الإسلامي.

القضايا الكبرى 1976:

ترجمة لعمر كامل مسقاوي المراجعة وتعليق للطيب الشريف وبسام البركة، أما مقدمة الطبعة الفرنسية،

كانت لنور الدين بوكروح والمقدمة العربية لعبد العزيز خالدي.

هذا الكتاب في الأساس هو عبارة عن مجموعة محاضرات ومقالات لمحاولة الإجابة عن أهم الأسئلة الحضارية التي تواجه الانسان العربي في مرحلة ما بعد الاستعمار، وجاءت هذه الفكرة في خمسة محاور وهي: مشكلة الحضارة، مشكلة الثقافة، مشكلة المفهومية الديمقراطية في الإسلام، إنتاج المستشرقين.

من أجل التغيير1989:

عن دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى 1998، والطبعة الرابعة في 1005، تقديم لعمر كامل مسقاوي، يحتوي على 190 صفحة.

يتناول هذا الكتاب مجموعة مقالات حول التغيير في العالم الإسلامي، وتدور فكرة العامة حول أهمية التغيير الداخلي بالنسبة للفرد وكذا المجتمع، كشرط أساسي لأجل النهوض الحضاري، ويؤكد بن نبي على أن أي تغيير حقيقي لا بد أن يبدأ من الانسان نفسه سواء تعلق بفكره أو سلوكه لأن المجتمعات تتغير فقط عندما يتغير الانسان في عمقه وليس بتغير الحكومات والنظم.

العفن 1945-1951:

ترجمة لنور الدين خندودي وتقديم لأحمد بن نعمان، وتصدير عبد الرحمان بن عمارة دار الأمة، الطبعة الأولى سنة 2004، العنوان الأصلي هو (Pourritures, Mémoires 1932-1940)، هذا الكتاب هو عبارة عن جزء من مذكرات مالك بن بني "شاهد القرن" ليغطي المرحلة بين 1932-1940، ويعتبر سيرة ذاتية إذ يكشف فيها مالك عن تفاصيل الفترة التي قضاها في فرنسا خاصة الثلاثينات وأربعينات، وجاءت تسمية الكتاب بهذه الكلمة "العفن" إشارة لتعفن القيم والأوضاع الاجتماعية والسياسية بأسلوب إنساني عميق دون تزيين.

تحليل إحصائي لمؤلفات مالك بن نبي:

من خلال قائمة المؤلفات المفصلة يتبين لنا أن إنتاج مالك بن نبي الفكري يتوزع على مجموعة من المجالات التي تعكس تنوع اهتماماته وعمق مشروعه النهضوي. ومن خلال تصنيف أعماله المنشورة، يمكن استخلاص توزيع مجالات التأليف لديه، وهو ما يسمح بفهم التوجه العام لفكره، وتحديد الأولويات الفكرية التي شغلت مساره العلمي، والجدول التالي يمثل تصنيف المؤلفات حسب المجال:

الجدول رقم (01): يمثل تصنيف المؤلفات

المجال	عدد المؤلفات
فكر حضاري شامل	12
سيرذاتية	3
ثقافة واستشراق	2
اقتصاد واجتماع	2
أدب وروا ية	1
محاضرات ومقالات	2

الشكل رقم (01): يمثل دائرة نسبية تمثل مجالات تأليف مالك بن نبي

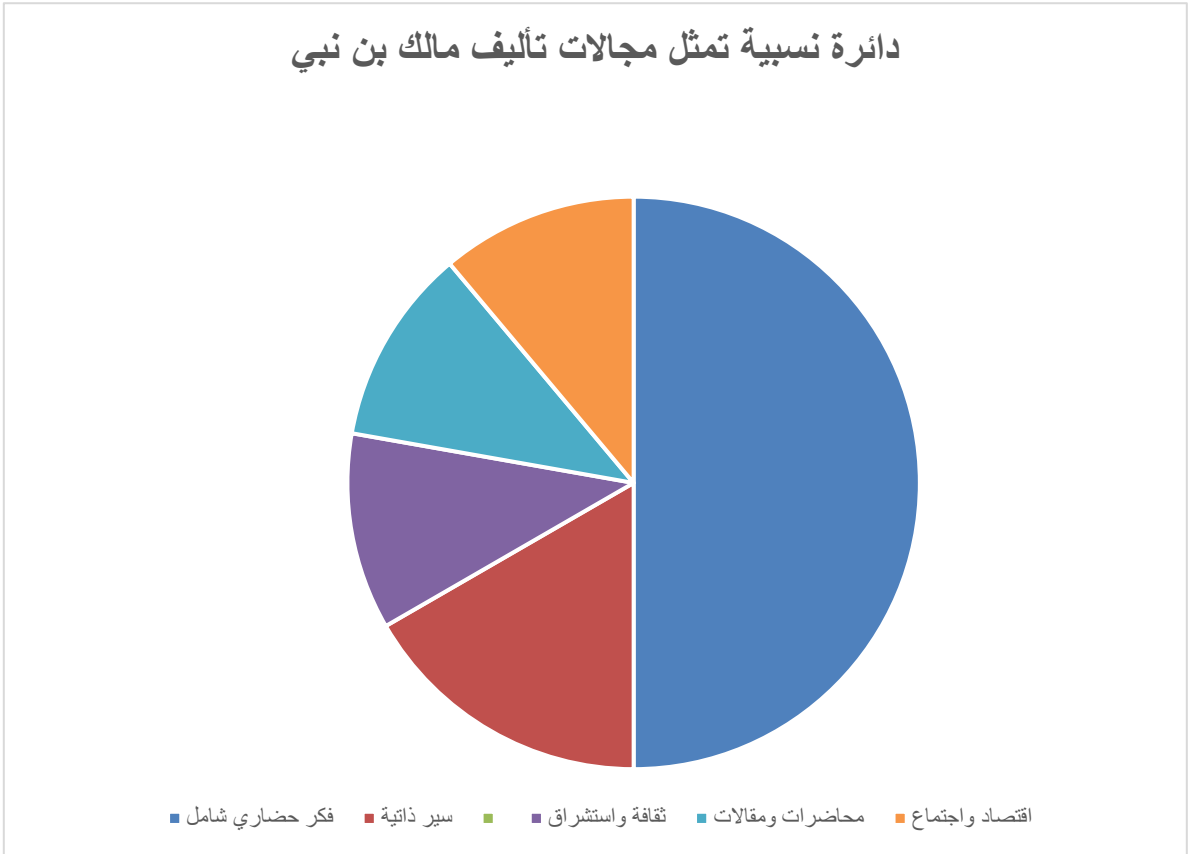

يتبيّن من خلال هذا التصنيف الإحصائي أنّ المؤلفات ذات الطابع الحضاري العام تحتلّ الصدارة في مشروع مالك بن نبي، وهو ما يعكس مركزية فكرة "النهضة" و"بناء الإنسان" في تصوراته لمعالجة واقع الأمة. لقد شكّلت هذه المؤلفات الهيكل النظري الأوسع الذي استند إليه في نقده لمظاهر التخلف، وتحليله للعوامل المعطِّلة للنهوض، سواء أكانت فكرية أو نفسية أو اجتماعية، وهو ما يشكّل الخلفية المفهومية الأساسية التي نعتمدها في هذه الدراسة لفهم موقفه من تيارات الحركة الوطنية الجزائرية.

كما تبرز ضمن هذا الإنتاج مكانة متميزة للمؤلفات ذات الطابع السيري، مثل شاهد على القرن والعفن، والتي لا تُقرأ في إطارها الذاتي المحض، بل تُعدّ وثائق تحليلية تكشف من خلالها الذات المفكرة عن رؤيتها لتاريخها، ولمحيطها، ولعصرها. وهذا البعد السردي التحليلي ذو أهمية خاصة في موضوع دراستنا، إذ نستنطق من خلاله مواقف بن نبي من شخصيات وطنية، ومن محطات سياسية، بما يسمح بفهم أعمق لتوتر علاقته بالحركة الوطنية، من موقع المثقف المستقل.

أما بقية المؤلفات، في ميادين السياسة والثقافة والاقتصاد، فإنها تندرج ضمن رؤية وظيفية منسجمة مع مشروعه الحضاري العام، حيث لم يكتب بن نبي في أي مجال بمعزل عن سؤال النهوض، بل وظّف مختلف الأدوات المعرفية والفكرية لخدمة تصوّره المتكامل لبناء مجتمع مسلم فعّال، قادر على تجاوز القابلية للاستعمار ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

كخلاصة لما تم التطرق إليه في هذا الفصل وحسب المعطيات المتوفرة لدينا، والتي تقودنا إلى استنتاج مفاده:

أن الطفولة والشباب في حياة مالك بن نبي لم تكونا مجرد مرحلتين بيولوجيتين، بل كانتا أرضية خصبة لتشكل وعي مضاد للتغريب، وممهد لنشوء عقل مفكر في صميم أزمة أمة، حيث عاش بن نبي انطفاء المقاومة المسلحة كطفل تشكلت ملامحه الأولى وسط صوت البنادق وضجيج الأسئلة عن المصير، ثم تمكن بعزيمة ورغم الظروف من مواصلة مسيرته في فضاءات أكثر اتساعا من مدرسته في قسنطينة إلى قاعات باريس هناك أين بدأ قلمه يرسم معالم مشروعه الحضاري، الذي امن فيه مبكرا أن النهضة الحقيقية لا تبدأ بالبندقية، بل بالفكرة وأن تحرر الشعوب لا يتحقق فقط بالثورات، إنما بإعادة بناء الانسان في أعمق مستوياته.

الفصل الثالث:
الحركة الوطنية في فكر مالك بن نبي

يُعد مالك بن نبي من المفكرين الجزائريين القلائل الذين قدّموا رؤى تحليلية مركّبة لمسار الحركة الوطنية الجزائرية، بمختلف تياراتها الفكرية والسياسية. لم يكن موقفه منها وليد الانتماء الحزبي أو الحماس العاطفي، بل جاء نابعًا من موقع المثقف المتأمل، الذي تابع هذا المسار عن كثب، وقرأه من زاوية حضارية تتجاوز الظرف السياسي الآني. ومن هذا الموقع، قدّم بن نبي تقييمًا يوازن بين التثمين لما أنجزته هذه التيارات، والنقد لما اعتبره قصورًا بنيويًّا في معالجة الإشكالات العميقة التي يعاني منها المجتمع الجزائري.

لقد اتسمت ملاحظاته بقدر من الاستقلالية الفكرية التي مكّنته من تشريح البرامج والأداء السياسي لهذه الحركات، لا سيما في ضوء رؤيته الخاصة لمعادلات النهضة، ومفاهيمه حول الفاعلية والتاريخ والثقافة. وفي هذا الفصل، سنسعى إلى تتبّع موقفه من أبرز مكوّنات الحركة الوطنية، واستجلاء الأسس الفكرية التي انطلق منها في دعمه أو نقده، لفهم كيف أسهمت مقاربته في إعادة تأطير الوعي السياسي ضمن مشروعه الحضاري الأوسع.

ولهذا قمنا بتخصيص هذا الفصل لتطرق إلى ما يلي:

1) **بن نبي وجمعية العلماء المسلمين (التقدير والدعم):**
   1.1. جمعية العلماء في فكر بن نبي.
   2.1. عبد الحميد بن باديس كما يراه بن نبي.
   3.1. مساهمة بن نبي في جريدة البصائر (1949-1953).
2) **قراءة بن نبي لأعطاب المشروع الإصلاحي:**
   1.2. سطحية الخطاب الإصلاحي وعامل القابلية للاستعمار.
   2.2. الجمعية والمؤتمر الإسلامي 1936 في رؤية بن نبي.
3) **التيارات السياسية للحركة الوطنية في تصور مالك بن نبي:**
   1.3. الاتجاه الاستقلالي في ميزان بن نبي.
   2.3. النخبة الاندماجية في كتابات بن نبي.
   3.3. التيار الشيوعي كما شخصه بن نبي.

1. بن نبي وجمعية العلماء المسلمين (التقدير والدعم):

1.1. جمعية العلماء في فكر بن نبي:

تشكل الفكر الإصلاحي الديني والاجتماعي، الذي عرفه العالم العربي الإسلامي منذ القرن التاسع عشر، إحدى أبرز القضايا التي استوقفت مالك بن نبي بحيث كرس جهوده لفهم أبعاده وتقويم نتائجه وإبراز دوره في مشروع النهضة **(جيلالي ب.، 2012، صفحة 9)**.

تعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أبرز التيارات الإصلاحية التي أسهمت في تشكيل الوعي الوطني والديني في الجزائر خاصة لدى الجيل الصاعد، فكان بن نبي من بين هؤلاء الشباب الذين بلغهم صدى أفكار الجمعية.

اطلع مالك على الخطاب الإصلاحي في وقت مبكر وهذا قبل الإعلان الرسمي عن تأسيس جمعية العلماء المسلمين في 1931، وذلك من خلال روادها ومجلتها الشهاب التي كان يشرف على إصدارها الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة **(عويمر، 2007، صفحة 17)**، وكثيرا ما كان بن نبي يعترف بأن التيار الإصلاحي هو الأقرب لتصوراته الفكرية ورؤيته النهضوية، لاسيما انه رأى فيه تجسيد لما كان يسميه بالصورة الجزائرية للفكرة الوهابية، إذ آمن بهذه الفكرة الأخيرة أنها الفكرة التي تحمل مشروع خلاص للعالم الإسلامي من أزماته الحضارية **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 277)**، كما يرى بن نبي أن جمعية العلماء المسلمين تعد من أقرب الحركات الإصلاحية لوجدان الشعب الجزائري وأكثرها تأثيرا في النفوس **(بن نبي، شروط النهضة، 1996، صفحة 25)**، وخير دليل وشعار اعتمدته الجمعية يتمثل في قوله تعالى :{إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} **سورة الرعد: الآية 11.**

أشار بن نبي للأثر العميق لتلك الآية الكريمة معتبرا إياها شعارا مركزيا في فكر الإصلاح داخل مدرسة ابن باديس، إذ شكلت هذه الآية منطلقا أساسيا لكل تفكير إصلاحي ولكل خطوة إصلاحية في كل مقال يكتب أو خطاب يلقى، إلى أن أصبح الشعب يتبناها في أحاديثه ومواقفه اليومية وظهرت في دعوات متعددة، فذلك يرفع شعار لا بد من تبليغ الإسلام للمسلمين وآخر يدعو إلى ترك البدع والطقوس البالية التي لوثت صفاء الدين وثالث يلح على ضرورة العمل والتعلم **(بن نبي، شروط النهضة، 1996، صفحة 25)**.

يقر بن بني بعد انتمائه الرسمي لجمعية العلماء المسلمين وبسهامه في المسار الإصلاحي دون ان يكون عضوا رسميا، حيث يقول أن الاعتراف بفضل هيئة أو تنظيم ما والثناء على أدواره في مسار النضال أو الإصلاح لا يستدعي بالضرورة الانتساب إلى صفوفه، حيث يقول في هذا الصدد: "**لقد بذلت شطرا من حياتي في سبيل الحركة الإصلاحية وشهدت في مناسبات مختلفة بالفضل لها**"، ومن هنا يتضح أن العلاقة بالجمعية لن تكن تنظيمية إنما كانت روحية فكرية، إذ يرى أن المثقف قد يكون أكثر فعالية عندما يحتفظ باستقلاله الفكري خارج أطر

الالتزام الذي يحدد من حرية المثقف حسب بن نبي **(بن نبي، في مهب المعركة إرهاصات الثورة، 1981، صفحة 140)**.

كانت لمالك مشاركات واسعة في نشاطات نوادي التهذيب التي أسستها جمعية العلماء في فرنسا في إطار الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية للمهاجرين الجزائريين، حيث أسهم بن نبي وبفعالية في هذه الفضاءات التربوية ونشر 10 مقالات في جريدة الشهاب المسلم **(عويمر، 2007، الصفحات 19-20)**، وهي كانت تابعة لجمعية العلماء المسلمين ناطقة باللغة الفرنسية، إذ كانت تدافع على توجهات الجمعية، وقد كتب مالك بن نبي فيها ابتداءا من عددها السابع مقالا بعنوان: "محمد والحضارة"، وهذا بمناسبة المولد النبوي الشريف واستمرت كتاباته فيها حتى آخر عدد **(العابد، 2018، صفحة 12)**.

ارتبط بن نبي بعلاقات وثيقة مع عدد من علماء المسلمين الناشطين في باريس، ومن أبرزهم الشيخ سعيد صلاحي والشيخ سعيد البيباني، وقد تعززت هذه الروابط من خلال مشاركته الفعالة في نوادي التهذيب وأنشطتها، حيث ألقى فيها محاضرات وشارك في ندوات تناولت قضايا الاستعمار والهوية، ومن أبرزها محاضرته بمرسيليا حول قضية الاستعمار التي حضرها الشيخ سعيد صالحي الذي أقام عنده في باريس، وقد نال مالك تقدير نوادي التهذيب إذ تم اختياره كرئيس شرفي خلال أحد الاجتماعات في باريس المنعقد بتاريخ 17 أفريل 1954، حيث لاقت محاضرته حول تفسير آية التغيير في سورة الرعد اهتماما واسعا واستقطابا لشخصيات فكرية أمثال الدكتور اللبناني صبحي صلاح والمسلم الفرنسي الدكتور علي سليمان بنوا **(عويمر، 2007، صفحة 70)**.

2.1. عبد الحميد بن باديس كما يراه مالك بن نبي:

يعد الشيخ عبد الحميد بن باديس من الشخصيات التي حظيت بتقدير كبير في فكر بن نبي رغم بعض انتقاداته للجمعية ورجالاتها، لكنه كان يحمل تقديرا خالصا لابن باديس، وقد تجلى هذا التقدير من خلال كتاباته.

كثيرا ما أشار بن نبي إلى الأثر العميق الذي تركته شخصية الشيخ بن باديس في نفوس شباب قسنطينة آنذاك، حيث كان مروره اليومي أمام مقهى بن يمينة في طريقه لمكتبه يلفت انتباههم ويثير اهتمامهم، ومدى تأثير هذه الشخصية التي فاقت تأثير شخص المولود بن الموهوب الذي كان له الفضل في غرس مبادئ الإصلاح والأسبق من بن باديس حسب مالك، لكنه يرجع هذا التأثير إلى استقلالية الشيخ عن الإطار الاستعماري وقتها، وقطعه لصلاته بمحيطه العائلي البرجوازي، وما جعله أقرب لوجدان الشباب الباحث عن رموز للتحرر والنهضة **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 130)**.

إضافة إلى جهوده في إصلاح الفكر الثقافي والديني، وكذا دوره في تنقية الثقافة الإسلامية الجزائرية من المقدسات الوهمية التي تسمى "التقاليد"، إذ يرى بن نبي أن الشيخ قد نجح في تطهير المجتمع من رواسب الطرقية والمرابطية التي كانت حينها تقوم بتكريس الخرافة وإعاقة نهضة الوعي (بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، 1969،

صفحة 57)، وكان بن نبي يستشهد بشخص بن باديس في سياق تحليل لمشكل النهضة في العالم الإسلامي ، حيث قال عن تجربته أنها لم تكن مجرد نشاط إصلاحي تقليدي، بل حملت في طياتها وعيا جديدا تشكل بفعل معايشة تحديات حضارية ومواجهة فكرية مع المستعمر، حيث أن بن باديس كان يعبر عن ذاتية جديدة استيقظت من خلال صدمات حضارية صنعت نفسية جديدة لدى الفرد المسلم، بحيث كانت تحمل في طياتها ملامح الوعي والرفض في آن واحد **(بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، 2001، صفحة 260)**.

وصف بن نبي في بداية النهضة الجزائرية في عشرينات القرن العشرين مستعملا صورة الفجر الذي يمحو الظلمة في إشارة إلى انبعاث الوعي بعد فترة طويلة من الجمود والاستعمار، ويرجع هذه الحركة إلى امتداد فكري وروحي من صوت جمال الدين الافغاني لتتجسد لاحقا كلمات عبد الحميد بن باديس قائلا :"**فكأنما هذه الأصوات استمدت من صوت جمال الدين الافغاني قوتها الباعثة بل كأنها صدى لصوته البعيد، لقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات بن باديس فكانت تلك ساعة اليقظة" (بن نبي، شروط النهضة، 1996، الصفحات 23-24)** (رابح، 2017)، حيث تبنى بن نبي في هذا النص على دور عبد الحميد بن باديس إذ يعتبره صوت النهضة الحقيقي .

يقول بن نبي عن بن باديس أنه رغم انحداره من وسط اجتماعي ميسور الحال ومنبت صنهاجي، لكنه كان يتمتع بسمات إنسانية رفيعة تتجلى في تواضعه وحسن معاملته للناس، فقد كان كثيرا ما يتوقف في الشارع ليحادث أحد المارة ويطمئن على أحواله.

يعترف بن نبي أنه في فترة سابقة أيام قسنطينة لما كان شابا أخطأ الحكم في أمر يخص بن باديس، إذ أنه كان يرى أن الشيخ الطيب العقبي هو الممثل الحقيقي لحركة الإصلاح، ولم يذهب تفكيره إلى حينها لابن باديس، لكن بعد زمن يعترف بأن حكمه كان أوليا تتأثرا بالأحكام الاجتماعية السائدة، إذ كانت قناعات حينها أن تمسكه بالإسلام يكمن في قربه من البدوي والمتمثل حينها في العقبي، إذ كان يرى أن البلدي بعيد بعض الشيء، وأشار أنه تفطن لخطأه هذا في 1939 ليعترف به في 1947 قائلا أنه: "**استوعب جيدا لماذا كان الشرع الإسلامي يفضل تقديم ابن المدينة ليوم الصلاة على ابن القبيلة" (بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، الصفحات 131-132).**

3.1. مساهمة بن نبي في جريدة البصائر (1949- 1953):

تعتبر جمعية العلماء المسلمين رائدة للنهضة في الجزائر، وذلك بالنظر إلى مرجعيتها الإصلاحية التي استمدتها من الحركات الإصلاحية في المشرق العربي، وقد اعتمدت الجمعية جملة من الوسائل لتحقيق مشروعها النهضوي، وكان من أبرزها الصحافة إذ أصدرت عددا من الصحف ذات الطابع الإصلاحي، كصحيفة المنقذ، الشهاب، السنة

النبوية، الصراط السوي، الإصلاح، الدفاع، والبصائر **(رابح، 2017، صفحة 16)**، وتعد صحف الجمعية من بين المؤثرات البارزة في تشكل الوعي الفكري لدى شباب القرن العشرين، ومن بينهم مالك بن نبي الذي نجده يتحدث عن مجلة الشهاب فيقول: "**قد جددت في نفسي خلال إقامتي بأفلو الأفكار التي كنت أرجوها في مقهى بن يمينة والمدرسة" (بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 184)**.

وإذا كانت مجلة الشهاب قد نالت تقدير بن نبي لإسهامها في بعث الوعي الفكري، فإن جريدة البصائر لم تكن بأقل تأثير إذ شغلت هي الأخرى باله ووجد فيها منبرا يناسب رؤيته الإصلاحية.

تعد صحيفة البصائر التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين رابع صحف الجمعية سنة 1935، وهي محطة محورية في مسار الصحف الإصلاحية، فقد حظيت بمكانة بارزة بين الصحف العربية سواءا من حيث الانتشار أو التأثير **(بن صالح ناصر، 2006، صفحة 109)**.

شهدت الفترة الممتدة من 1949- 1953 نشر ثلاث مقالات لبن نبي في صحيفة البصائر، إذ يكتسي هذا الحدث دلالة خاصة من حيث توقيته وسياقه الفكري السياسي، حيث يعكس انخراط بن نبي في النقاشات الوطنية حول طبيعة الصراع ضد الاستعمار، حيث نشر مقالة الأولى في شهر فيفري سنة 1949 بعنوان: "ميلاد المسيح عن المسلمين" **(عويمر، 2007، صفحة 53)**، يقول بن نبي في مقاله: "**دقت ساعة المولد المسيحي ورحت توزع البشرى على البلاد بأصوات أجراسها المدوية المتدفقة كأنها الأمواج" (عويمر، 2007، صفحة 274)**، يذهب مالك هنا إلى عمق بعيد حيث يلمح إلى أن كل ميلاد روحي صادق يهز الوجود وأن العالم الإسلامي كي ينهض يحتاج إلى ميلاد مشابه، يحتاج لصوت تجديد ووعي جديد يهز الأمة، كما هزت أجراس الميلاد العالم فبن نبي كان دائم الحديث عن الإنسان الفعال ودوره في الأمة لهذا يصور في هذا النص المسيح كرمز لهذا الإنسان الذي يأتي في لحظة حركية يوقظ الضمير الإنساني، أما بالنسبة للمقال الثاني والثالث فقد حملا معا نفس العنوان وهو : "في طريق ظهور مدينة"، حيث كان المقال الثاني بتاريخ 6 مارس 1953، أما الثالث في 3 أفريل 1953**(عويمر، 2007، صفحة 53)**.

أما للمقال الثالث يتطرق فيه بن نبي لموضوع مهم مفاده أن الحضارة لا تنشأ من الفراغ، إنما من فطرة سليمة وتوتر روحي وأخلاقي داخلي وهو الذي يدفع الإنسان للسعي، وهو ما يحرك الأمم من حالة السكون إلى الفعل ومن الفطرة البسيطة إلى التمدن الحقيقي، ويحذر بن نبي من مظاهر المدينة الغربية دون امتلاك الأساس الروحي الذي أنتجها هناك فالتقليد الأعمى يخلق حضارة زائفة لان الحضارة الحقيقية تكمن في الجوهر وليس المظهر **(الابراهيمي، 1952-1953، صفحة 353)**.

ونستطيع من خلال اطلاعنا على هذا المقال أن نستخلص ما يلي:

- أن الحضارة لا تقلد بل تبنى؛
- ضرورة نقد السطحية والانبهار بالغرب فهو أساس مشاكلنا وأزماتنا؛

➢ الحضارة بالنسبة لنا هي مسؤولية داخلية، حيث تبدأ كل حضارة من الإنسان الذي يقر أن ينهض من سباته بإيمان قوي.

2. قراءة بن نبي لأعطاب المشروع الإصلاحي:

1.2. سطحية الخطاب الإصلاحي وعامل القابلية للاستعمار:

رغم ما أبداه بن نبي من تقدير لجمعية العلماء المسلمين مشيدا بدورها الإصلاحي والتربوي، إلا ان نظرته إليها لم تكن خالية من النقد، حيث كان يثمن الجهد لكنه لا يغض الطرف من مواقع القصور، إذ نجده يقف عند بعض مآخذها محللا ناقدا برؤيته الفكرية، وهذا ما سنستعرض له من خلال هذا العنصر، بحيث يقول بن نبي: "**أن الأشياء تمر علينا دون أن تصل لشعورنا لأننا نمر على سطح الأشياء دون أن تصل إلى مكنونها**" **(بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، 1981، صفحة 34)**.

في هذا القول عمق كبير إذ كان مالك بن نبي يرى السطحية في الحركة الإصلاحية التي كانت تمر على ظاهر المشكلة حسب رأيه، فتركز على محو الأمية وإصلاح العقيدة دون مشروع حضاري شامل، وفتح المدارس مقاومة التجنيس، تعليم العربية محاربة الطرقية وغيرها من الأمور التي يراها مالك بن نبي مشروعا يفتقر لإصلاح الجذور، ويقتصر على الظاهر فقط دون الدخول في عمق البنية النفسية والاجتماعية للمستعمر، فمن خلال قراءة بن نبي للواقع الاستعماري كان يرى أن العطب الذي أصاب المجتمع المسلم لم يكن ناتجا عن افتقار للوسائل والإمكانيات المادية، إنما كان بتعطل فعالية الإنسان ذاته وداخل مجتمعه، لهذا جعل بن نبي الإنسان الركيزة الأساسية لأي مشروع نهضوي فالنهضة لا تبدأ بالأدوات بل بتحرر العقل **(تمريسيت، د.ت، صفحة 9)**.

فالقابلية للاستعمار حسب بن نبي هي استعداد داخلي كامن في بنية الفرد المستعمر، إذ تنبعث من انهيار الوعي الذاتي ويراها نتاج تراكم تاريخي عبر الأجيال تجعل الإنسان يقبل لنفسه المهانة ويرضى بتسميات كالأهلي ويسير في حدود ضيقة رسمها المستعمر.

يكمن الإشكال الجوهري في معظم المشاريع الإصلاحية حسب بن نبي أنها لم تلامس عمق الأزمة الحضارية التي يعيشها المسلم لإغفالها التفكير في مفهوم القابلية للاستعمار، إذ يعد مفتاحا لفهم واقع الانحطاط ذلك المفهوم الذي غاب عن رواد الحركات الاصطلاحية بما فيهم جمعية العلماء المسلمين **(عنيات، 2021، صفحة 7)**.

كما يرجع بن نبي انحراف الحركة الإصلاحية عن طريقها وحسب رأيه إلى الاقتصار على علم الكلام الذي أصبح قدرا مسلطا عليها، إذ حاد بها جزئيا وحط من قيمة بعض مبادئها الرئيسية كالسلطة، أي العودة للفكرة الأصلية في الإسلام فكرة السلف **(بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، 1969، صفحة 53)**، ويقصد بن نبي هنا أيضا

ابتعدت عن هدفها الأصلي الذي يقتصر على بعث روح الإسلام الحقيقية في حياة الناس، ويقصد بالسلف الصالح الأول وليس السلفية كما نعرفها اليوم.

كما يركز بن نبي على فهم حقيقة الاستعمار فهما عميقا إذ يقول: "**أن داخل الضباب يكون من العسير على الإنسان أن يشق طريقا معينا**" **(بن نبي، القضايا الكبرى، 1991، صفحة 31)**، ويرى بن نبي أن الاستعمار هو نتيجة لحالة الانحطاط الداخلي الذي استوطن كيان الأمة، وهو لا يحمله كامل المسؤولية عن المأساة، إنما يراها مترتبة على خلل أعمق نشأة داخل الذات الإسلامية نفسها، وهو في نظره بذرة صغيرة وحقيرة لا تملك القدرة على التمدد والهيمنة، إلا إذا وجدت تربة خصبة تغذيها وتحتضنها وهذه التربة هي عقول الشعوب المستسلمة ونفوسها الخانعة، إذ يبرز بن نبي من خلال هذا المنطلق القابلية للاستعمار كإطار تحليلي لفهم أسباب التدهور الذي يجتاح عمقا وليس اكتفاءا بالظاهر فحسب **(بن نبي، مجالس دمشق محاضرات ألقيت في عامي (1971-1972) حول دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، 2006، صفحة 54)**.

يشبه بن نبي الأمة الإسلامية وعلى رأسها النخب بالإصلاحية، بالمريض الذي يعاني من مرض عضال، وبدل أن يعالج الجرثومة يحفظ الحرارة أو تسكين الألم، فالمريض هو المجتمع الإسلامي والطبيب هم الزعماء المصلحون أمثال رجالات الجمعية التي ذهبت للاشتغال بعلاج الأعراض السطحية الظاهرة التي ذكرناها سابقا من فقر وجهل ... دون سعيها لتشخيص السبب العميق، وهو خلل البنية النفسية والعقلية للمجتمع الجزائري، وهنا ما يسميه بن نبي مشكلة المعامل الاستعماري أو القابلة للاستعمار **(بن نبي، شروط النهضة، 1996، صفحة 41)**.

2.2. الجمعية والمؤتمر الإسلامي 1936 في رؤية بن نبي:

في ظل تصاعد الشعور بالأزمة الحضارية والضغط الاستعماري، شهد العالم الإسلامي في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين تزايدا ملحوظا في عدد المؤتمرات الإسلامية كمؤتمر الخلافة الإسلامية الذي انعقد بالقاهرة ومؤتمر القدس ومؤتمر مسلمي أوروبا بجنيف، وما يهمنا هنا المؤتمر الإسلامي الجزائري المنعقد سنة 1936، حيث جاءت الدعوة لعقده كمبادرة أولى من الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي عبر عنها في حديث نشر في جريدة الدفاع الناطقة بالفرنسية التي كان يديرها الأمين العمودي، وفي هذا التصريح قام بن باديس بتوجيه نداء لمختلف التشكيلات السياسية الجزائرية لأجل الالتقاء ضمن مؤتمر إسلامي يوضع فيه برنامج لمطالب مشتركة ترفع للحكومة الفرنسية **(أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، 1992، الصفحات 151-152)**، رغم العديد من النقاط الإيجابية التي يمكن استخلاصها من هذا المؤتمر لكن بن نبي لم يكتفي بتثمين فكرته، بل تعامل معها بعين ناقدة وسلط الضوء على عدد من النقائص التي تنظيمه وأهدافه حسب رؤيته الفكرية.

يمكن القول أن بن نبي قد صعق من مشاركة الجمعية في مؤتمر 1936 **(أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، 1998، صفحة 216)**، حيث عبر عن استيائه بتواجد العلماء المسلمين في الفندق الكبير معتبرا أن المكان لا يليق بمن يمثلون الكرامة الدينية ورأى في ذلك تناقضا بين رسالة العلماء ومظاهر البذخ المرتبطة بالوسط الكولونيالي ويصف بن نبي المنظر في المؤتمر قائلا: "**كان المشهد بائسا يثير الشفقة فقد صاحبت الفاحشة والمشروبات الكحولية وقد ضم الأعضاء البارزين للإصلاح الجزائري" (بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، الصفحات 116-117)**، وهنا يوضح أن هذه الأجواء تتنافى تماما مع طبيعة الرسالة التي يرفعها وفد يحمل شعار الإصلاح، حيث يرى بن نبي أن مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي تعتبر بداية لانزلاق الفكرة الإصلاحية في مستنقع الممارسات الطرقية، حيث كان على الجمعية من وجهة نظر بن نبي أن تظل عالية وبعيدة عن التجاذبات الحزبية والمجامع الانتخابية التي كانت تشوه نبل الرسالة التربوية والدينية، حيث أفقدت هذه المشاركة الإصلاح هيبته، إذ اختلطت رموزه مع مشاهد سياسية لدرجة أنه وصف ذلك المنظر وهم بثيابهم البيضاء التي كانت ترمز لنقاء مشروعهم الإصلاحي، أنها أصبحت ملوثة بمظاهر الاحتفال الانتخابي ودماء العنف السياسي، مما شكل في نظره انحدارا مقلقا في المسار الإصلاحي **(بن نبي، شروط النهضة، 1996، صفحة 30)**.

كما يحمل بن نبي الجمعية مسؤولية الانحراف الأول الذي طال مسار الحركة الإصلاحية مشيرا لمشاركتها في القافلة السياسية التي توجهت لباريس، حيث كانت هذه الرحلة حسب بن نبي مجرد وهم بوجود حل خارج الذات الوطنية، إذ راهن قادة الإصلاح على الخارج متجاهلين أن مفتاح النهضة يكمن في روح الأمة لا في مراكز القرار الفرنسي، إذ تعجب أهل الإصلاح الذين ينتظرون غنيمة سياسية من عاصمة استعمارية وهم يدركون أن أي تحرر حقيقي يبدأ من إصلاح الإنسان **(بن نبي، شروط النهضة، 1996، صفحة 26)**، وفي هذا المسار ركزت على المطالبة بالحقوق بدلا من النهوض بالواجبات الحضارية التي تمليها طبيعة المرحلة فالشعوب التي تكثر من المطالبة بحقوقها قبل أن تنجز واجباتها في نظره تعيش أزمة ترتيب الأولويات وأزمة وعي تاريخي **(شايب، د.ت، صفحة 3)**، إذ كان الحركة الإصلاحية وكل النخب حسب مالك غارقة في الخطاب والتنظير أو ما وصفه بمرض الكلام وغلبة الخطاب الفارغ على الفعل، كما وصف المجتمع الجزائري بعد إخفاق المؤتمر بالسفينة التائهة، ويذكر أنه قبل المؤتمر كانت النوايا أكثر صفاءا بما فيها حتى الأفكار **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 390)**.

منذ 1936 أقام بن نبي الحداد على العلماء وكبر عليهم أربعا وأعلن موتهم الحضاري في ذلك المؤتمر، فرأى أن هؤلاء الذين ينتظر منهم أن يكونوا مصابيح الفكرة لم يكونوا إلا دخانا قاتما عاجزين عن فهم الفكرة، فكيف لهم أن يتصوروها أو يحملوها نحو التنفيذ **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، صفحة 118)**، ويقول بن نبي أن الكلمة تفقد معناها حين تم تسليم القيادة (المهمة)، أي علماء الجمعية مهمة قيادة المؤتمر إلى القيادة المطربشة

(السياسيين) أمثال بن جلول وفرحات عباس، رغم أن بن باديس يعتبر الأحق والأولى بالقيادة، ويقول: "**أنهم تحولوا من صوت المسجد والنادي إلى ضجيج المقهى**" **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 384)**، وحسب بن نبي: "**أن السياسي لا يبني وعيا بقدر ما يبني للجهل بالسنن والحقائق**" **(دناقة و طعام، 2021، صفحة 12)**.

يذكر بن نبي وباستغراب شديد وأسى كيف أن الشيخ عبد الحميد بن باديس بدلا من أن يحول إليه مهمة تمثيل جمعية العلماء المسلمين في باريس، وهو الذي كان ناشطا آنذاك في أوساط الطلبة الجزائريين، بحيث اقترح بنفسه الشيخ بن باديس للرئاسة الشرفية لجمعيتهم زمن المرحوم فاروق، حيث قرر أن تسند تلك المهمة للورثلاني ويقرأ بن نبي هذا القرار باعتباره تعبيرا عن ميل التيار الإصلاحي التقليدي إلى الخطابة والرمزية على حساب الفكرة والمواجهة الفكرية العميقة، فالشيخ الورثلاني رغم لمعانه في الأوساط المشرقية كالقاهرة وصنعاء، كان أسلوبه البلاغي غير ملائم للواقع الغربي الذي يتطلب فهما عميقا لبنية الفكرية والاجتماعية وليس فقط التلويح بالشعارات الوثانة، وفي هذا الموقف تتجلى بداية القطيعة بين ما أسماه بن نبي الروحانية الساذجة والفكرة الواعية، كما يبرز الخلاف بين منطق الإصلاح الدعوي التقليدي ومنطق النهضة الفكرية التي كان يحملها هو من قلب باريس **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، صفحة 119)**.

يتضح أن جمعية العلماء المسلمين حاولت منذ 1936 الانتقال من العمل التربوي التمهيدي إلى النشاط السياسي المباشر، وهو ما اعتبره مالك بن نبي انحرافا عن مسارها الأصلي، فقد رأى أن خوضها للمعترك السياسي جاء على حساب المشروع التربوي الذي سعت من خلاله إلى بناء الفرد الجزائري الواعي وتعزيز الروابط الاجتماعية التي توحد المجتمع حول هدف النهضة، وبحسب بن نبي فإن هذا التحول قد يفقد الجمعية ما أنجزته سابقا إذ أن استقلال الشعوب لا يكتمل دون إعداد فكري وثقافي يسبق العمل السياسي، وهي فكرة جوهرية في مشروعه الحضاري **(شايب، د.ت، صفحة 13)**.

ويتضح من خلا ل نقد مالك بن نبي لموقف جمعية العلماء المسلمين من المؤتمر الإسلامي أنه كان يحمل النخبة الدينية مسؤولية عجزها عن إدراك طبيعة المعركة الحضارية، فقد رأى في مشاركتها مظهرا من مظاهر الغفلة عن شروط النهوض الحقيقي، لذلك دعا إلى وعي تاريخي يتجاوز ردود الأفعال العاطفية نحو مشروع إصلاحي شامل، وبن نبي لم يكن رافضا لما رأى من تسرع وغياب للرؤية الحضارية.

3. التيارات السياسية للحركة الوطنية في تصور مالك بن نبي:

1.3. الاتجاه الاستقلالي في ميزان بن نبي:

بعد أن تبين لنا موقف بن نبي من التيار الإصلاحي الذي جمع فيه بين التثمين والنقد من خلال ما عرضناه سابقا، تتجه الرؤية الآن إلى التيار الاستقلالي الذي سنحاول توضيح معالم بن نبي لهذا التيار من خلال تأملاته في الفعل السياسي.

في خضم سنوات التكوين الطلابي في الحي اللاتيني لمالك بن نبي في باريس، وجد نفسه وجها لوجه أمام أولى التجارب الساسية المنظمة في الوسط المغاربي، حيث كانت باريس آنذاك بمثابة مركز يغلي بأفكار التحرر الوطني ، ولم يكن الحراك النضالي يقتصر على الوطن المحتل فقط، إنما امتد لقلب العاصمة الفرنسية، هناك حيث بدأت ملامح الزعيم مصالي الحاج تفرض نفسها مستعيدة مشروع نجم شمال إفريقيا الذي سبق أ تراجع الأمير خالد عن الساحة، وثم تنظيم لقاء بين مجموعة من الطلبة المغاربين ومصالي الحاج بواسطة الدكتور بن ميلاد وبالتنسيق مع جمعية الطلبة، وكان ذلك بشكل مدروس وليس صدفة، إذ جرى اللقاء في فندق الهجار الذي كان مالكه يدعي انتمائه لعائلة الأمير خالد سياسي ، ورغم أهمية الحدث لكن حمودة بن الساعي صديق بن نبي عدم الحضور بسبب تحفظه من التنظيمات الساسية، ما يعكس انقسام النخبة الطلابية آنذاك بين من يتحمس لفكرة التحرر، ومن يتوجس من الصدام مع الاستعمار في ظل غموض الرؤية السياسية، اتخذ النقاش بين الطلبة ومصالي الحاج طابعا بلاغيا أشبه بمبادراة في الفصاحة، وهو أمر يعكس مناخ تلك المرحلة التي كانت فيها فيها الخطابة وسيلة للتأثير السياسي وتوظيف الثقافة في خدمة مشروع التحرر، ويروي بن نبي هذه اللحظات لا كذكريات طلابية عابرة بل كنافذة على بدايات تشعل الحركات الوطنية في الخارج، حيث تداخلت الطموحات الشخصية والخطاب الثقافي والرهانات السياسية في معركة الوعي ضد الاستعمار **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 245)**.

في فقد بن نبي للنخب الجزائرية يقول إنها انتقلت من وهم لوهم آخر، فقد ورث الميكروب السياسي والميكروب الدروشة معا، فصار يقدس السياسي كما يقدس الأولياء، فبعد أم كان يشتري البركات والحروز بأثمان باهظة أصبح اليوم يلهث وراء الأصوات والوعود الانتخابية بنفس التعصب الأعمى دون أي نقد أو وعي، وبدل أن يسعى لتغيير نفسه أو مجتمعه راح يبحث عن الخلاص في زعيم ويؤمن بأنه سيحل مشكلاته.

يذكر بن نبي أنه في مأدبة طلابية قال أحد الطلبة تريد حقوقنا ولو مع جهلنا ووسخنا وعرينا، فقوبلت كلمته بالتصفيق، وكأنها تعبر عن وعي ثوري عميق، لكن بن نبي رأى في هذا الخطاب خللا لأن الطالب كان يطالب بالحقوق دون الاستعداد للواجب أو تغيير الذات، بل كان يقدم التخلف كوسام، وهذا في نظر نبي من أحد مظاهر القابلية للاستعمار **(بن نبي، شروط النهضة، 1996، الصفحات 35-36)**.

أما بخصوص اللقاء الثاني الذي جمع الطلبة المغاربة بمصالي الحاج، ثم التباحث فيه حول إعادة بعث نجم شمال إفريقيا، وما لاحظه بن نبي هو اهتمام مصالي المنصب على الشكل والبروز الإعلامي أكثر من مضمون المشروع

ذاته، ما عكس نزعة نحو التظاهر السياسي بدل البناء الحضاري، إذ لم يخفي بن نبي نقده لطغيان لمظهر على الفكرة، ويرى فيها بذور مرض سياسي سيشترى لاحقا في الحياة الوطنية حيث يختزل الفعل السياسي في الاستعراض والمظاهرات على حساب العمل العميق والمنظم **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 245)**.

كما يتحدث بن نبي عن الاجتماع الذي جرى لدى بقال بشارع سان جاك للتخطيط لأول مظاهرة للحزب (نجم شمال إفريقيا)، لكنه يستغرب ويقول أنه بدل أن تكون مظاهرة شعبية في الشارع قرروا أن تكون بشكل مهرجان داخل قاعة تابعة للماسونية الفرنسية، وبعد مرور أربعين سنة على هذا الحدث لا يزال بن نبي مستغربا من هذا الاختيار، إذ يرى أنه من التناقض أن تكون انطلاقة حزب وطني جزائري يفترض فيه تمثيل طموحات الشعب المستعمرين ضد فرنسا داخل فضاء تملكه منظمة ماسونية، وهو ما يكشفه له تناقضا عميقا، في هذه البداية التي تمثل أحد أوجه الهيمنة الثقافية الفرنسية **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 146)**.

يرد بن نبي على من يعتقد أن التظاهر السياسي رغم سطحيته كان خطوة إيجابية في مسار النضال الجزائري موضحا أن الجزائر لم تكن في حالة عدم، بل كانت تمر بمرحلة نضالية حقيقة وعميقة قادها الإصلاحيون والمؤتمر الإسلامي، ويرى بن نبي أن هذه الموجة من التظاهر الشكلي لم تكن تطورا، بل تراجعا أضعف النضال الحقيقي وأجل لحظة الثورة بدل أن يسرعها محملا تلك الحركات مسؤولية تأخير الفعل الثوري إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وبعد هذا الطرح نقدا جريئا يخالف الرواية الوطنية التقليدية **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 246)**.

بعد مغادرة فريد زين الدين باريس تراجعت الأفكار الوحدوية التي كان يروج لها لتحل محلها نزعة قومية تركز على الانتماء الوطني لكل بلد عربي، وقد استمر مصالي الحاج هذا التحول بذكاء فجعل من نجم شمال إفريقيا أداة تعبئة فعالة للعمال الجزائريين يعيدون النظر في توجهاتهم السياسية، فظهرت أولى ملامح الوعي القومي بينهما **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 276)**.

كان مصالي حسب رأي بن نبي ورغم كونه من نمط البوليتيك (السياسة)، كما يصفه مالك لكنه يقول عنه أنه يختلف في جوانب جوهرية مع بن جلول، إذ كان أكرم وأكثر حفظا للوجه وأكثر عفة، فبهذا التفسير بلفت بن نبي إلى الفارق السياسي والأخلاقي حسي الشخصين، حيث بصور بن جلول كشخصية استعراضية وظيفية في يد الإدارة الاستعمارية، افتقرت للحد الأدنى من الكرامة السياسية، أما مصالي الحاج فرغم تحطمه عليه فإنه يعترف له بقدر من النبل ويمنحه مسافة رمزية عن التبعية المهنية، وهنا ينتقد مالك غياب الروح السياسة الحقيقية لدى أغلب الفاعلين مؤكدا أن السياسة، كما يراها ليست أقول ولا شعارات إنما هي أفعال ملموسة تنبع من ضمير

الواقع الإنساني، ويشير إلى أن هذه الروح السياسية لم تظهر في العالم السياسي حسب رأيه، إلا متأخرة مع بروز القضية الفلسطينية، حيث برز لأول مرة وعي سياسي جماعي لا ينحصر في الصراع الانتخابي، وإنما ينفتح على قضايا الانسان والتراب والزمن **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، صفحة 95)**، فالقضية الفلسطينية شكلت في نظر بن نبي لحظة وعي حضاري أيقظت الحس السياسي لدى الشعوب وحركتها من موقع التلقي إلى موقع الفعل.

يرى بن نبي أن العديد من الأزمات التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال تعود إلى اختلالات داخلية سبقت سنة 1962 محملا مسؤولية جزء منها إلى مصالي الحاج الذي تدخل في مسار الحركة الوطنية، فحسب بن نبي لم يكن هذا التدخل نابعا من رؤية جماعية بناءة، بل من نزعة فردية أدت إلى انقسام الصف الوطني، مما أضعف أسس الدولة المستقبلية، وينطلق في ذلك من قناعته بأن الاستقلال لا يكتمل بمجرد خروج المستعمر، بل يتطلب وعيا سياسيا ناضجا، وهو ما غلب في تلك المرحلة فانعكست تبعاته على طبيعة النظام السياسي لاحقا ما ولد صراعات على الشرعية وتحديات في بناء الدولة **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 246)**.

2.3. النخبة الاندماجية في كتابات بن نبي:

لم يكن نقد مالك بن نبي مقتصرا على التيار الاستقلالي والإصلاحي، بل تجاوز ذلك إلى مساءلة أعمق للذهنية الجزائرية في مختلف تمظهراتها بما فيها التيار الإدماجي، وهذا ما سنتناوله في هذا الجزء من خلال تتبع ملاحظات بن نبي وتحليلاته لهذا الاتجاه.

في صيف حزين قضاه بن نبي في تبسة جراء وفاة والدته، وفي حالة من التأمل في محيطه الاجتماعي والسياسي، وفي خضم هذا الجو المشحون بالمشاعر الخاصة بدأت ملامح الزعامة السياسية لمحمد بن جلول تفرض نفسها في المشهد المحلي متخذة من تلك المرحلة بوادر لصعوده كوجه جديد **(كامل مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي، مسار نحو البناء الجديد، 2013، صفحة 159)**، ازدادت رغبة بن نبي في رؤية بن جلول هذه الشخصية التي كانت تعتبر رمزا وطنيا آنذاك، حتى أن الجزائريين سموا أبناءهم باسمه، فذهب بن نبي لعيادة الدكتور بن جلول، وبعد لقاءه لم يلمح فيه شيئا من صفات البطل الذي تتحدث عنه الجماهير، بل بدا له رجلا عاديا في فكره وحياته وتكشف هذه الحادثة عن بداية وعي بن نبي بنزعة التهويل الشعبية لبعض الشخصيات السياسية.

كما عبر عن خيبته حين اكتشف أن أقصى اهتمامه كان في ترتيبات انتخابية، وقد رآه منهمكا مع مساعديه من بينهم فرحات عباس في حساب عدد الأصوات التي قد تمنحها هذه البلدة، فاستغرب بن نبي كيف لرجل كان أقصى ما يمكنه هو ملئ فراغات الصحف، أن يصبح قائدا يراهن عليه في مستقبل الوطن بأكمله **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، صفحة 92)**.

فحبه بن نبي كانت الانتخابات شغلهم الشاغل، حيث يقول عن فرحات عباس أنه لم يخاطب الشعب الجزائري بلغة الأصلية، إلا بعد الحرب العالمية الثانية عندما اقتضت المنافسة الانتخابية ذلك، فتبنى خطايا ديماغوجيا لكسب التأييد ويكشف بن نبي من خلال هذا الموقف انتهازية خطابية، حيث استخدمت اللغة كأداة سياسية ظرفية لا قناعة راسخة **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 266)**.

أدرك بن نبي مع صديقه حمودة بن الساعي أن المطالب التي كان يرفعها بن جلول في مجال التعليم رغم صراحتها، لم تكن تهدف لحل المشكلة المتعلقة بالأمية، إنما تكرس تبعيتنا للإدارة الاستعمارية، فقرر كتابة مقال يتوجه به لمخاطبة ضمير الجزائريين داعيا إلى حل ذاتي وهو توزيع الأمتين المثقفين حتى وإن كانوا في مستوى الابتدائي ليكون الحل نابعا من الداخل لا من مطالب ترضي المستعمر، لكن بعد أن خيبة صحيفة الدفاع (La Défense) أمل بن نبي وصديقه قررا التوجه إلى صحيفة الوفاق رغم كونها ناطقة باسم التيار البنجلولي، وذلك لمناقشة موضوع آخر وهو غياب الروح الجماعية في الجزائر، حيث صار الفرد يعيش لذاته غير مبال بمعاناة غيره، وهو ما يعكس تفكك الوعي الجماعي تحت وطأ الاستعمارية، وهذا المقال كان خصيصا للبرجوازيين أمثال بن جلول، بحيث حمل المقال إمضاءا بسيطا وهو رفقاء الإسلام، لكن لم يكن ذو صدى لأن مصلحة بن جلول كانت الانتخابات لا غير وغير ذلك هو ليس من مصلحته **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، الصفحات 108-111)**، ويبين بن نبي أن الاستعمار اعتمد على العقلية الأهلية والخضوع له كأدوات فعالة لضبط المجتمع، حيث بدت له النخب السياسية بما فيها الإصلاحية مجرد واجهات تسير بخيوط الإدارة الاستعمارية، فقد رأى في بن جلول وبن جامع أدوات بيد المستعمر، حتى العلماء رغم حسن نيتهم لم يخرجوا عن طوع المنظومة الاستعمارية، بل انجر بعضهم كالشيخ العربي التبسي لمهاجمة بن نبي حين نقد بن جلول وقال أنهم لا يملكون كثيرا من السياسين، ومن هنا يكشف بن نبي عمق اختراق الاستعمار لبنية الوعي والنخبة معا، وما كان يصدم بن نبي هو مقولة الشيخ العربي التبسي حين يردد دون ملل أنه ليس هناك من يعرض بن جلول **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، الصفحات 149-150)**.

تتعزز وجهة نظر مالك بن نبي في الزعيم بن جلول وثبت فراسته فيه من خلال ما دونه لاحقا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين، حيث أشار إلى أن ابن جلول قد استهلك في دائرة الغرور وانكشفت في شخصيته صفات جعلت وطنيته محل تساؤل، إذ بدت عليه سمات لا تليق برجل سياسي حقيقي، ومن أبرز العوامل التي أسهمت في انهيار مكانته حسب تحليل الابراهيمي هو اصطدامه مع الجمعية ذاتها التي كانت قد تبنته في بداياته، وساهمت في صعوده السياسي من خلال دعمها له وتعريف الشعب به وفتح الطريق أمامه نحو النيابة، ومع أن الجمعية حاولت إصلاحه حيث لاحظت انحرافه إلا أنه لم يستجيب **(العبدة، 2006، صفحة 73)**، كذلك يذهب بن نبي إلى انتقاد فرحات عباس وحزبه الاتحاد الديمقراطي لأحباب البيان والحرية (USMA)

معتبرا أن ممارساتهم السياسية بعد سنة 1946 تمثل انحراف خطيرا عن روح الوطنية، ويرى بن نبي أن السقوط السياسي بدأ منذ عام 1936 مع بن جلول وعباس فرحات، وتفاقم في عام 1947 حيث ظهرت أوضح صور الخيانة تحت شعارات الدين والوطن، لكنه رغم ذلك يلمح إلى أن هذه الانحرافات ساهمت في تنبيه الضمير الجماعي، وبدأت تترسخ تقاليد سياسية جديدة أكثر وعيا ونضجا في الذهنيات الجزائرية **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، صفحة 154)**.

يذهب بن نبي أيضا لانتقاد موقف زعيم حركة النواب الجزائريين في فرنسا الذي تنكر لجمعية العلماء المسلمين بعد اغتيال الشيخ بن كحول أحد رموزها، حيث استقبل في ميناء مرسيليا بسؤال من الصحافة عن علاقته بجمعية العلماء المسلمين، إذ يجيب قائلا: "**لا علاقة لنا مع من أيديهم مخضبة بالدم في تبرؤ صريح منها**"، حيث يرى مالك في هذا الرد خيانة سياسية وأخلاقية لأنه جاء في لحظة كانت فيها جثة مفتي الجزائر لا تزال حديث الرأي العام، وكان من المنتظر هو الدفاع عن الجمعية لا التنكر لها، ويكشف هذا الموقف عقلية انتهازية لدى بعض الزعماء الاندماجية التي تتخلى عن شركاء الوطن في سبيل رضا فرنسا **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 368)**.

ويقول بن نبي عن بن جلول أنه قدم تصريحات إجرامية وخطيرة، هذا البرجوازي الصغير من قسنطينة، والذي تم ترشيحه بفضل الإدارة وغباء الأهالي كبطل قومي رقم واحد في الجزائر، إذ يقول لولا فرنسا لما كنت سوى ملقي نفايات **(Bennabi, 2007, p. 100)**.

وهو الحال نفسه عند فرحات عباس حيث كانت رؤية بن نبي له لم تتغير طوال حياته، وعن تجربة ومعرفة له عن قرب، ولما كان يتحدث بن نبي عن زعماء الجزائر ومنهم فرحات عباس يستخدم كلمة "الزعماء" و"الزعيم" بين شولتين، هذا ما يعني أن بن نبي لا يعترف أساسا بفرحات عباس كزعيم **(حبار، 2019)**.

يقول بن نبي أن الصحافة الوطنية كانت تصلنا فب باريس كأنها موجات من الوطن، تحمل لنا الفرح أو الغضب حسب مضمونها، فكانت تربطهم وجدانيا وسياسيا بأحداث الجزائر، ويذكر أن إحدى الأخبار كانت ستسقط زميله الطالب علي بن أحمد أرضا، فصرخ يا للخيانة يا للخونة في مشهد يجسد عمق تفاعلهم مع قضية وطنهم رغم الغربة، وكانت جريدة اتحادية النواب تحمل مقالا تحت عنوان "أنا فرنسا"، ذلك المقال الذي هز بن نبي لصاحبه فرحات عباس **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، الصفحات 359-360)**.

أثار مقال فرحات عباس "فرنسا هي أنا" صدمة عميقة بين الطلبة الجزائريين في باريس، لما تضمنه من إنكار لوجود الأمة الجزائرية وادعائه أنه لم يجد لها أثرا حتى في المقابر، وأربك بن نبي الذي كان ينتظر ردا يشفي غليله وموقفا حاسما من الوطنين والعلماء، لكنه وجد الرد ضعيفا ما دفعه لكتابة مقال ليرد فيه بنفسه وعنونه ب

"مثقفون أو مثيقفون"، وقال ألقيته كالبصاق في وجه فرحات عباس **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، الصفحات 114-115)**.

يشير بن نبي في مذكراته إلى وعيه المبكر رفقة حمود بن الساعي، بما وصفه بالمهزلة التي بدأت تكشف في الساحة السياسية الجزائرية خاصة مع بروز اتحادية النواب التي كانت في نظره إيذانا بانقسام داخلي عميق، حينها أدرك أن الصراع هو صراع مصالح تتحكم فيه السلطات الاستعمارية التي كانت تتظاهر أحيانا بمناهضة بعض العلماء أو الخصوم، فتعلن سخطها عليهم ليوهم شعبه أن تلك الخلافات تعبير عن بطولات وطنية ما يكرس الطاعة العمياء والولاء لمن يظهرون بمظهر المقاومين، وفي ليلة كتابته لمقاله مثقفون أم مثيقفون أيقظ زوجة ليقرأه عليها فلما انتهى من القراءة قالت لا أعتقد أنه من تحريرك، بل أراه من وحي السماء، فقرأت نسخة على طلبة الحي اللاتيني، وخص فيهم أولئك من مشروب فرحات عباس، وثم إرسال نسخة إلى الأمين العمودي لكي ينشرها في جريدته، لكنه لم يفعل ذلك **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، الصفحات 360-361)**.

في لقاء جمع بين بن نبي والأمين العمودي، وسأله عن امتناعه عن نشر مقاله في جريدة الدفاع التي يشرف عليها، جاء رد العمودي صريحا قال نعم لم أنشره عن روية حتى لا أحطم مستقبل فرحات عباس في الساحة السياسية، وهذا التصريح يبرز مدى تعقد العلاقة بين الكلمة الحرة والاعتبارات السياسية، كما يشير أن بعض مثقفي هذه المرحلة كانوا يدركون هشاشة التوازنات داخل النخبة الوطنية ويتفادون دون أي خطاب، قد يربك تلك المعدلات حتى وإن كان ذلك على حساب الحقيقة أو النقد البناء **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 366)**.

يتحدث بن نبي عن ظهور فرحات عباس والدكتور بو مالي وسعدان في مؤسسة المرشحين بقسنطينة التي كانت بابا للانخراط في السياسة ضمن الأطر الاستعمارية، ويصف مالك هذا الاتجاه بسخرية، فيقول أنهم وقعوا ضحية خطوط سيئة قادتهم إلى غاية تصطاد فيها الذئاب في إشارة إلى انخراطهم في لعبة سياسية خطيرة تفتقر إلى الوضوح، وتعاون بن نبي بين من فهم المرحلة، وأجاد توجيه الجماهير مثل: مصالي ومن أخطأ البوصلة وانحرف وراء مسارات استهلكها الاستعمار مثل: سعدان ورفاقه، ويبين أن القيادة تحتاج إلى وعي وحدس وفطنة سياسية لا مجرد نوايا وشعارات.

ويريد بن نبي أن يركز على فكرة أن القومية الجزائرية في بداياتها لم تكن بريئة أو صافية، بل ولدت منقسمة بين جناح يتمسك بامتيازاته الطبقية ويتعاون مع المستعمر **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، 1984، صفحة 276)**.

في موضع آخر يشير بن نبي إلى أن التوجه المصالي أقل خطرا على مستقبل البلاد، مقارنة بالنهج البنجلولي الذي بدا له بعيدا عن روح الإسلام ومتجاهلا لمقومات الشخصية الإسلامية في الأمة **(بن نبي، العفن (1932-1940)، 2007، صفحة 113)**.

رفض بن نبي الادماج لأنه رآه خطرا على الهوية الإسلامية والثقافية للأمة معتبرا أن السعي للاندماج في الحضارة الغربية يعني فقدان الشخصية الجزائرية وضياع النهضة الحقيقية، وكان يرى أن التيار الإدماجي ليس فقط تيارا سياسيا خاطئ الرؤية، بل أداة تهدد كيان الأمة وهويتها.

3.3. التيار الشيوعي كما شخصه بن نبي:

لم يكن موقف مالك بن نبي من الحزب الشيوعي الجزائري مجرد موقف سياسي ظرفي، بل امتد إلى رفض إيديولوجي عميق للمنظمات الفكرية التي يقوم عليها هذا الحزب، والتي رآها متناقضة مع مقومات الشخصية الإسلامية.

حيث يقول تطرح على الشعوب المستعرة أنماط متعددة من الحلول السياسية كالبعثية والبربرية والإفريقية والشيوعية، غير أن هذه التوجهات لاسيما الشيوعية منها كثيرا ما تروج برعاية قوى استعمارية تسهر على نموها في بيئات مصطنعة تخدم مصالحها، وفي السياق ذاته يستثمر الخطاب المبالغ في تمجيد الماضي أحيانا لوسيلة لصرف الانتباه عن القضايا الجوهرية في ميادين السياسة والفكر، مما يعمق التبعية بدل أن يفضي إلى نهضة حقيقية **(بن نبي، القضايا الكبرى، 1991، صفحة 177)**.

يرى مالك بن نبي أن المواقف الشيوعية بوجه عام تتسم بنزعة نقد ذاتي توظف كآلية وقائية تهدف إلى تقليل فرص الخصم في توجيه الاتهام، ويشير في هذا السياق إلى أن الصحيفة المركزية للحزب الشيوعي قد ساهمت بشكل غير مباشر في تنفيذ إستراتيجية للاستعمار اتجاه أحد كتبه، وذلك من خلال تقديم صورة مغلوطة عنه للرأي العام خصوصا في ظل كون الكتاب مكتوبا بلغة أجنبية، ما يحد من إمكانية الاطلاع المباشر عليه من قبل الجمهور المحلي **(بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، 2001، صفحة 38)**.

حيث أشار المفكر مالك بن نبي إلى أنه تعرف في المدينة على شخصية جديدة تمثلت في الدكتور خالدي الذي كان آنذاك طالبا في المرحلة النهائية من التعليم الثانوي يقضي عطلته الصيفية في مسقط رأسه قبيل التحاقه بجامعة تولوز.

يرجح أن أحد أساتذته في المرحلة الثانوية بمدينة عنابة قد كان له تأثير ملموس في تبنيه لبعض التوجهات اليسارية، وهي التوجهات التي يمكن اعتبارها جزءا من المناخ الفكري والسياسي الذي مهد لاحقا لتأسيس الحزب الشيوعي الجزائري، وذلك عقب سنة واحدة من انعقاد مؤتمر فيلوربان للحزب الشيوعي الفرنسي، ولم يكن من المألوف في تلك الفترة أن تصدر توجيهات ذات طابع إيديولوجي من باريس بهذا الشكل المباشر، غير أن المجتمع

الجزائري في ذلك آنذاك كان يتمتع بحصانة من الوعي متمسكا بتقاليده وقيمه ويقظا اتجاه واجباته الفكرية والثقافية، وفي هذا المجال اتصل به صديقه النجار سي محمد المكي وأثار انتباهه إلى ما يتعلق بخالدي، وذلك خلال نزهة مسائية كانت اتجاه وادي الناقوس، إن خالدي باعتباره مثقفا من بينهم فهو يمثل مسؤولية جماعية تقع على عاتقهم، ولا يصح لهم تركه فريسة للتيارات الفكرية التي تتعارض مع منظومتهم القيمية ورؤيتهم الحضارية ومقاومتهم التاريخية.

وبناء على ما لوحظ من ميول خالدي الفكرية وتقديرا لما يتمتع به من تكوين معرفي واهتمام بالقراءة والمطالعة تقرر إدراجه ضمن قائمة الشباب الذين ينبغي توجيههم وإنقاذهم من التيه الأيديولوجي، وانطلاقا من ذلك رأوا أن يكون الفيلسوف الألماني نيتشه مدخلا لهذا التوجيه، وفي لقاء لاحق نظم لهذا الغرض قدمت له نسخة من أحد أعمال نيتشه يرجح أنها كانت كتاب هكذا تكلم زرادشت **(بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطالب)، 1984، صفحة 347)**.

لقد جرى توظيف جانب من المال للتأثير على أجد الزعماء السياسيين الذين كانوا في مرحلة معينة يجسدون طاقة الأمة الحيوية وحاملين لفكرة نضالها الوطني، حيث تولت الأحزاب السياسية لاحقا استكمال هذا المسار، حيث سعى كل منها إلى استثمار إرث المؤتمر الشعبي الجزائري لصالحه من خلال محاولة احتكار شبكة العلاقات الاجتماعية التي تأسست لأول مرة على نطاق وطني شامل، ويظهر هذا التحول الذي برز مع نهاية الأربعينات كيف أفرغت المبادرات الجماعية من مضمونها الوطني لصالح الحسابات الحزبية الضيقة **(بن نبي، ميلاد المجتمع، 1986، صفحة 73)**.

ذكر مالك بن نبي بأن الصحيفة الشيوعية الإنسانية (lHumanité) هي أكثر الوسائل التعبيرية قدرة على إرواء ضمئه القومي، إذ وجد فيها تعبيرا مكثفا عن الغضب الكامن في نفسه وعزاء يعيد تشكيل وعيه الوطني في ظل سياق استعماري قاس **(Bennabi, Mémoires D'un témoin Siècle, s.d, p. 100)**، جدير بالذكر أن المدرسة الماركسية ترجع البناء الاجتماعي بكامله إلى الأساس الاقتصادي، حيث تعتبر العلاقات الاقتصادية المحور الذي ترتكز عليه مختلف لظاهر النشاط الاجتماعي، والواقع أن هناك نقطة مشتركة بيننا وبين المدرسة الماركسية، ولاسيما في تناولها لمفهوم الثقافة فالنظرية الماركسية ليست مخطئة، ولكنها تظل ناقصة وقاصرة من حيث الشمول **(بن نبي، ميلاد المجتمع، 1986، صفحة 31)**، يشير بن نبي إلى أن الاتحاد السوفياتي تبنى موقفا حازما في الدفاع عن علاقاته ضد التهديدات المختلفة من خلال اتخاذ إجراءات جريئة تجاه ما يعرف بالمواطنة العالمية، كما يسعى للحفاظ على وحدته الثقافية ويعارض ما يعرف بالمواطنة العالمية، ويؤكد تمسكه بمرجعيته الفكرية والأيديولوجية في مواجهة ما يطلق عليه التروتسكية إلى جانب دفاعه عن استقراره وعلاقاته السياسية.

فخرتشوف اتخذ موقفا حازما تجاه العناصر المندسة داخل صفوف الشعب محددا إياهم باتخاذ إجراءات صارمة من بينها نفيهم إلى مناطق نائية مثل سيبيريا، وذلك يهدف منعهم من تفويض البنية الأخلاقية والثقافية للمجتمع السوفياتي والتأثير السلبي في نسيجه القيمي **(بن نبي، ميلاد المجتمع، 1986، صفحة 87)**.

فهذا الموقف إزاء إشكالية لا تزال في طور التكوين يكتسب أهميته من جانبين، فهو يبرز من جهة أولى درجة الوعي والاستجابة السريعة لدى المسؤولين السوفيت تجاه هذه الظاهرة الناشئة، كما يمثل من جهة نموذجا ملموسا للإدراك المبكر لسيرورة التحولات الاجتماعية، كما يرينا الإجراءات الرادعة التي أزعموا اتخاذها منذ البداية حتى يعطوا المشكلة حلا فعالا **(بن نبي، ميلاد المجتمع، 1986، صفحة 89)**.

يرى مالك بن نبي أن البرهان الماركسي صحيح، مؤكد لفاعليته في واقع الحياة العملية لأنه مكمل في هذا الواقع بالروح التي تحرك الأشخاص والأفكار والأشياء، وهي العناصر التي تؤدي النشاط المشترك في البلاد الشيوعية وغيرها، ولا شك أن هذه الماركسية التي تنشأ بين الأفراد علاقات اجتماعية تسهم في تحفيزهم على الانخراط في هذا النشاط والمشاركة الفاعلة فيه **(بن نبي، ميلاد المجتمع، 1986، صفحة 33)**.

يتضح من خلال تتبع موقف بن نبي من تيارات الحركة الوطنية، أنه لم يكن مفكرا محايدا، وإنما صاحب رؤية نقدية معمقة مستندا في مواقفه إلى مشروعه الفكري الحضاري الذي يتجاوز مجرد التحرر السياسي إلى تحقيق النهضة الشاملة، إذ نجده يثمن بعض جوانب التيار الإصلاحي خاصة فيما يتعلق بالبعث الديني والتربوي، لكنه في الوقت نفسه لم يتردد في نقد قصور هذا التيار في معالجة المشكلات الاجتماعية والحضارية بعمق.

كما عبر عن مواقف نقدية واضحة لمختلف التيارات الحزبية الأخرى، فرأى في التيار الاستقلالي قصورا في التأسيس الفكري ونزوعا نحو العاطفة السياسية أكثر من البناء الحضاري الواعي، رغم اتفاقه معه في هدف التحرر.

في حين اعتبر التيار الإدماجي تجليا لما يعرف بالتغريب والاستيلاب الثقافي في كونه تبنى مشروعا لا يعترف بخصوصية الشعب الجزائري وهويته الإسلامي، كما هو الحال بالنسبة للتيار الشيوعي الذي انتقد فيه تبعيته للفكر الأممي ومحدوديته في فهم خصوصيات المجتمعات المسلمة معتبرا إياه نموذجا آخر من الغربة الفكرية.

خاتمة

خاتمة

تأتي هذه الدراسة في إطار فكري وتاريخي تطلب منا استعادة وعي نقدي بمسار الحركة الوطنية الجزائرية، من خلال استقراء فكر مالك بن نبي، أحد أبرز المفكرين الجزائريين الذين تميزوا بجرأة فكرية وفهم عميق لهذا المسار. فقد كان بن نبي شاهدًا واعيًا على تحولات المجتمع الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي، ولم يكن مجرد مراقب سلبي، بل كان ضميرًا يقظًا تحدى الأطر الذهنية التقليدية للخطابات الوطنية، ساعيًا إلى إعادة صياغة المشكلات الوطنية الجزائرية ضمن رؤية حضارية شاملة.

حاولنا من خلال هذا البحث أن نظهر أن مالك بن نبي لم ينظر إلى التحرر والاستقلال كأهداف سياسية فحسب ولا حتى عن طريق مواجهة القوة بالقوة، بل كجزء من مسار أعمق يركز على بناء الإنسان الفاعل والمجتمع القادر على النهوض. ورفض الانخراط في الاصطفافات الإيديولوجية الضيقة، فكان ممارسًا ناقدًا موضوعيًا لكل من النخبة المتعاونة مع الاحتلال، وتلك التي اختزلت النضال في البعد السياسي فقط، متجاهلة الخلل الحضاري البنيوي الذي مهد للاستعمار.

تكمن قوة فكر بن نبي في قدرته على تجاوز اللحظة التاريخية إلى ما أسماه "المخيال الحضاري"، حيث يتحول الحدث السياسي إلى انعكاس لمرض أعمق، ويصبح النضال بلا معنى إذا لم يرتبط بوعي تاريخي يؤسس للفاعلية الحضارية. نقده للحركة الوطنية كان مبنيًا على معايير دقيقة تقيس مدى ارتباط الفعل السياسي بالبنية الحضارية، مما جعله ينتقد رموزًا متعددة دون أن يكون موقفه عقائديًا، بل رؤية شمولية تهدف إلى استعادة فاعلية الإنسان المسلم وتحريره من تبعية الاستعمار.

إن راهنية فكر بن نبي تكمن في تمسكه بقوة ومركزية الفكرة في صناعة التاريخ، ورفضه للخطابات الانفعالية والشعارات الجوفاء، معتمداً على يقظة الضمير الحضاري وإعادة بناء العلاقة بين الفكرة والواقع، الإنسان والتاريخ، النخبة والجماهير. فمساءلته للحركة الوطنية ليست إدانة، بل محاولة صادقة لتقويمها داخليًا، سعياً إلى تجاوز يعيد ربط الحاضر بمشروع نهضوي متكامل يجمع بين السياسة والثقافة، والوعي والواقع.

وفي جوهرها، تدعو هذه الدراسة إلى إعادة التفكير في علاقة الفكر بالتحرر، وتجاوز الاستعمار ليس فقط كهيمنة خارجية، بل كقابلية داخلية متجذرة في الوعي والسلوك والبنية الاجتماعية. تجربة بن نبي تؤكد أن مقاومة الاستعمار تبدأ من تحرير العقل وبناء فكرة تصنع الإنسان الجديد.

وفاءنا لهذا المفكر لا يكون بتكرار مقولاته، بل بفهم السياقات التي أنتجته، واستيعاب التوترات والرهانات التي خاضها، لاستلهام أدواته في بناء مشروع فكري معاصر يواجه تحديات الانهيار الحضاري والانقسام الثقافي الذي تعاني منه مجتمعاتنا اليوم.

من هذا المنطلق، تشكل هذه الدراسة خطوة أولى في مسار مفتوح يتطلب المزيد من البحث والتأمل، خصوصًا في استثمار أدوات بن نبي التحليلية لتفكيك الظواهر السياسية والاجتماعية المعاصرة، وإعادة قراءة التاريخ

الوطني قراءة نقدية تتجاوز الاحتفاء إلى المساءلة، ومن التقديس إلى التحليل البنيوي الهادئ، لنقترب من تحقيق ما كان يصبو إليه بن نبي: بناء حضارة تقوم على الوعي لا الحنين، وعلى الفكرة لا الأسطورة، وعلى الإنسان لا الصنم.

وإذ نطوي صفحات هذا البحث، فإنّ أعيننا لا تنصرف إلى الماضي بقدر ما تتطلّع إلى الحاضر والمستقبل، إذ إنّ مسؤولية مواصلة المسار الذي خطّه مالك بن نبي لا تقع على عاتق المؤرخين أو الباحثين فحسب، بل هي أمانة في أعناق الأجيال المتعاقبة التي شاء لها القدر أن تواجه استعمارًا من نوع آخر، أكثر دهاءً ونعومةً، يتمثّل في الغزو الثقافي وتفكيك الهويّة وتزييف الوعي. ففي زمن تتهاوى فيه المرجعيات وتتآكل فيه الثوابت، يغدو الرجوع إلى مشروع بن نبي الحضاري ضرورة لا ترفًا، إذ يمكن أن نستعيد من خلاله أدوات فعّالة لتحصين ذواتنا، وبناء إنسان متجذّر في هويته، منفتح على العالم، واعٍ بتحدياته، لا يستهلك ما يُنتج له فكريًّا، بل يشارك في إنتاج المعنى وتشكيل الوعي.

إنّ استدعاء فكر بن نبي اليوم ليس استرجاعًا لأمجاد سابقة، بل استنفار للضمير الحضاري في معركة جديدة، معركة الكلمة والصورة، السوق والعقل، التكنولوجيا والهوية. ومن ثمّ، فإنّ مواصلة طريقه تقتضي من جيلنا تفعيل رؤاه لا ترديدها، وتجاوز الانبهار إلى ممارسة النقد، والتزام الوعي بدل الانخداع بالشعارات الجوفاء. فالمستقبل لن يُبنى إلا على أكتاف أجيال تُدرك أن معركتها الحقيقية هي معركة وعي، وأن النهضة ليست حدثًا يُنتظر، بل مسار يُصنع.

الملاحق

الملحق رقم (01): صورة مالك بن نبي (كامل مسقاوي، في صحبة مالك بن نبي، مسار نحو البناء والجديد، 2013، صفحة 721)

في الأرز- لبنان.

الملحق (02): برنامج نجم شمال إفريقيا (بن خدة، 2012، الصفحات 356-359)

الملحق 2

برنامج نجم شمال افريقيا

الجمعية العامة المنعقدة بباريس في 28 ماي 1933

انعقدت هذه الجمعية العامة في 28 ماي 1933، في الرقم 49 نهج (بريطاني) بالدائرة الباريسية الرابعة، متجاهلة تماما قرار المحكمة الصادر في 20 نوفمبر 1929، القاضي بحل نجم شمال افريقيا. وبالرغم من أن حزب النجم كان محظورا بمقتضى حكم قضائي، إلا أنه آل على نفسه ألا يضمحل نهائيا بل فضل البقاء في الوجود بطريقة أقرب إلى العمل السري، محاولا الاستمرار قدر المستطاع في نشاطه السياسي غير مبال بالحكم الصادر ضده ولا مكترث بما ينجر عن ذلك من مشاكل قانونية وبالرغم من إمكانياته المتواضعة.

وخلال انعقاد الجمعية العامة للحزب، في 28 ماي 1933، تمت المصادقة على قانونه الأساسي الجديد الذي أقر ووسع القانون الأساسي الذي سبق التصويت عليه خلال الاجتماع الثاني للجمعية العامة المنعقدة في 28 فيفري 1928. ويجدر التذكير بأن هذه الجمعية العامة المذكورة كانت قد عينت مصالي الحاج رئيسا لنجم شمال افريقيا بعد إقالة حاج علي عبد القادر الذي كان يتولى هذا المنصب من قبله.

أدخلت الجمعية العامة المنعقدة في 28 ماي 1933، توضيحات جديدة على برنامج الحزب، وأقرت المزيد من التفصيل والتدقيق فيما يتعلق بالمطالب الاقتصادية والاجتماعية، لاسيما ما تعلق بإلغاء قانون «الأهالي»، وبالتدابير

الاستثنائية، وبإقرار إلزامية التعليم للأهالي باللغة العربية، وتوليهم الوظيفة العمومية بدون قيود.

بينما سبق التنصيص على الهدف المتعلق باستقلال البلدان المغاربية الثلاث في المادة 3 من القانون الأساسي الصادر سنة 1928، والذي تم تأكيده خلال مؤتمر بروكسل (10-14 فيفري 1927) من طرف مصالي الحاج فيما يتعلق بالجزائر، هذا الهدف أعيدت صياغته من جديد في المادة 2 من القانون الأساسي الجديد المصادق عليها من طرف الجمعية العامة للحزب في 28 ماي 1933. ومن جهة أخرى صادقت هذه الجمعية على برنامج خاص «بالفرع الجزائري» في نجم شمال افريقيا حيث تمت المطالبة على وجه الخصوص «بإنشاء مجلس تأسيسي بالاقتراع العام والمباشر» وكذا «منح الاستقلال التام للجزائر» وأيضا «تشكيل حكومة وطنية ثورية».

ونورد فيما يلي هذا البرنامج المخصص «للفرع الجزائري» في نجم شمال افريقيا نظرا لما يتميز به من موقف راديكالي ومعاند.

البرنامج

الجزء الأول

1. إلغاء قانون الأهالي على الفور وجميع الإجراءات الاستثنائية.
2. العفو على جميع المساجين والموضوعين تحت المراقبة والمنفيين بسبب مخالفتهم لقانون الأهالي أو لارتكاب جنحة سياسية.
3. حرية التنقل المطلقة باتجاه فرنسا والخارج.
4. حرية تأسيس الصحف والجمعيات والتجمع والتمتع بالحقوق السياسية والنقابية.

5. تعويض المجالس المالية المنتخبة بواسطة الاقتراع المحدود، ببرلمان جزائري مُنتخب بالاقتراع العام المباشر.
6. إلغاء البلديات المختلطة والأقاليم العسكرية وتعويضها بمجالس بلدية مُنتخبة بالاقتراع العام المباشر.
7. فتح باب التوظيف أمام جميع الجزائريين في شتى المناصب الإدارية دون أي تمييز وعلى أساس تساوي الأجور في الوظائف المتساوية.
8. إلزامية التعلم باللغة العربية والحق في التعليم في جميع المستويات الدراسية؛ فتح مدارس عربية جديدة؛ نشر جميع الوثائق الرسمية باللغتين العربية والفرنسية بصورة متزامنة.
9. فيما يتعلق بالخدمة العسكرية احترام السورة القرآنية ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾.
10. تعميم تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية. تخصيص منحة البطالة للعائلات الجزائرية المقيمة في الجزائر والمنح العائلية والحق في التأمينات الاجتماعية.
11. توسيع مجال الاستفادة من القرض الفلاحي ليشمل صغار الفلاحين؛ الاستغلال العقلاني لميدان الري؛ تطوير وسائل المواصلات. تقديم الإعانات لضحايا المجاعات الدورية دون تسديد مبلغها إلى الحكومة.

الجزء الثاني:

1. استقلال الجزائر الكامل.
2. انسحاب جيش الاحتلال.
3. تأسيس جيش وطني.
4. حكومة وطنية ثورية.

5. جمعية تأسيسية منتخبة عن طريق الاقتراع العام المباشر.
6. الاقتراع العام في جميع المستويات وحق الترشيح إلى كل المجالس المنتخبة لمجموع سكان الجزائر.
7. اعتبار العربية لغة رسمية.
8. تسليم ملكية البنوك والمناجم والسكة الحديدية والموانئ والمصالح العامة التي استولى عليها المحتلون إلى الدولة الجزائرية.
9. مصادرة الملكيات الكبرى التي استولى عليها الإقطاعيون، حلفاء المحتلين، والمستوطنون والشركات المالية وإعادة الأراضي المصادرة إلى الفلاحين مع احترام الملكية المتوسطة والصغيرة؛ إعادة ملكية الأراضي والغابات التي استولت عليها الدولة الفرنسية إلى الدولة الجزائرية.
10. التعليم المجاني والإلزامي باللغة العربية في جميع المستويات التعليمية؛
11. اعتراف الدولة الجزائرية بحق التمثيل النقابي وحق التكتل والإضراب؛ تتولى الدولة الجزائرية إصدار القوانين الاجتماعية.
12. تقديم المساعدات الفورية للفلاحين في شكل قروض فلاحية معفاة من الفوائد لشراء الآلات والبذور والأسمدة وتنظيم الري وتحسين طرق المواصلات الخ...

المصدر: محفوظ قداش ومحمد قنانش، نجم شمال افريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 50 و60.

الملحق رقم (03): فيلسوف مالك بن نبي (tristoc, s.d)

الملحق رقم (05): صورتين لبن نبي سنة 1943 (Hammouti, 2020)

الملحق رقم (05): قصاصة من جريدة الجزائر الجمهورية (Alger Républicain) في نشرتها يوم 23 مارس 1949 (شروانة وعلاوة، 2020، صفحة 20)

Alger - Républicain
du 23 Mars 1949

Critiquant un récent ouvrage de M. Malek Bennabi

LES ETUDIANTS MUSULMANS D'ALGER CONDAMNENT LES THÉORIES DU PESSIMISME ET DE L'ABANDON

L'ouvrage de M. Malek Bennabi « Les conditions de la renaissance algérienne » a donné lieu samedi soir au foyer de l'étudiant musulman à un débat plein d'animation et souvent passionné.

Parmi les nombreux ouvrages intellectuels parvenus ces jours derniers à la rédaction de notre journal, l'un d'eux, intitulé « Les conditions de la renaissance algérienne », a retenu notre attention. Ce qu'il contient en effet de discutable ne l'était évidemment pas la personnalité de l'auteur, non plus d'ailleurs que les critiques — souvent discutables — qui peuvent s'attacher à la rédaction de ses brochures.

Ce sont ainsi tout les considérations de M. Bennabi qui furent critiquées. La forme même de l'ouvrage, empruntant tantôt l'essai, tantôt la pièce théâtrale, nous a semblé plus des plus contestables.

Plusieurs étudiants reprochent à l'auteur son pessimisme d'autres critiquent « ses conceptions erronées » de la colonisation à laquelle il attribue d'une façon démesurée une haute humanitaires et civilisatrice — et de la civilisation même à l'origine de laquelle il met la naissance de l'« Idée », une idée abstraite et sans consistance, sans liaison aucune avec les phénomènes économiques et le développement des forces de production, pourtant déterminants.

La critique de fond touche aux conclusions pratiques auxquelles M. Bennabi veut conduire ses lecteurs : « Ils ne cesseront d'être colonisables, qu'en cessant d'être colonisables. Et pour cesser d'être colonisables « chacun devra être amené par à pro à une fonction parfaite et à sa dignité spirituelle ».

Par d'amont ? ont répondu les étudiants. Pour nous adapter, pour transformer notre comportement intérieur, il faut d'abord briser le cadre résultant du système colonial, obstacle essentiel à toute évolution et à toute renaissance véritables.

D'entre eux, la collaboration de collectivités, du patronnement M. Bennabi qui crie et dénonce la misère, l'ignorance et l'obscurantisme. On ne crée en réalité d'intellectuels — et tant est qu'on puisse vraiment l'être — qu'en s'engageant résolument dans l'action et en se mêlant à la lutte générale du peuple pour sa liberté et son bien-être. Là, réalisé en définitive les vraies conditions de toute renaissance véritable.

« Un qualifiant de néo-maraboutisme, dit un étudiant, la lutte des algériens pour la conquête de leurs droits et de leurs libertés, en appelant au détachement et à l'abandon, M. Bennabi dresse la cause de son peuple et restreint sa valeur au profit de l'arsenal idéologique colonialiste. »

C'est pourquoi, mettant de côté les controverses philosophiques et les spéculations vaines, les étudiants préfèrent, à la quasi-unanimité prendre acte de leur mise en demeure et non tenir aux faits et aux réalités concrètes : ils condamnent résolument l'ouvrage à la fin de leur débat, mettant en cause « ce genre de littérature algérienne qui, finalement, affecte qu'il pourrait ramener... »

قائمة المصادر والمراجع

I- المصادروالمراجع باللغة العربية:

1. المصادرباللغة العربية:

1.1. القرآن الكريم.

2.1. الكتب:

- ← مالك بن نبي. (1969). *وجهة العالم الإسلامي* (الإصدار الطبعة 5). (عبد الصبور شاهين، المترجمون) دمشق: دار الفكر.
- ← مالك بن نبي. (1981). *الصراع الفكري في البلاد المستعمرة*. دمشق: دار الفكر.
- ← مالك بن نبي. (1981). *في مهب المعركة إرهاصات الثورة* (الإصدار الطبعة 3). دمشق: دار الفكر.
- ← مالك بن نبي. (1984). *مذكرات شاهد القرن (الطالب)* (الإصدار الطبعة 2، المجلد الجزء 2). دمشق: دار الفكر.
- ← مالك بن نبي. (1984). *مذكرات شاهد القرن (الطفل)* (الإصدار الطبعة 2). دمشق: دار الفكر.
- ← مالك بن نبي. (1986). *ميلاد المجتمع* (الإصدار الطبعة 3، المجلد الجزء 1). دمشق: دار الفكر.
- ← مالك بن نبي. (1987). *الظاهرة القرآنية*. (محمد عبد الله دراز، محمود شاكر، المحررون، و عبد الصبور شاهين، المترجمون) دمشق: دار الفكر.
- ← مالك بن نبي. (1991). *القضايا الكبرى* (الإصدار الطبعة 1). دمشق: دار الفكر.
- ← مالك بن نبي. (1996). *شروط النهضة*. (عبد الصبور شاهين، و عمر كامل مسقاوي، المترجمون) دمشق: دار الفكر دمشق.
- ← مالك بن نبي. (2001). *فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ* (الإصدار الطبعة 3). (عبد الصبور شاهين، المترجمون) دمشق: دار الفكر.
- ← مالك بن نبي. (2006). *مجالس دمشق محاضرات ألقيت في عامي (1971-1972) حول دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين*. دمشق: دار الفكر.
- ← مالك بن نبي. (2007). *العفن (1932-1940)* (المجلد الجزء 1). (نور الدين خندودي، المترجمون) دار الأمة.

2. المراجع باللغة العربية:

1.2. الكتب:

- يحي بوعزيز. (2007). *سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، 1830-1954*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- إحسان عباس. (2006). *غربة الراعي، سيرة ذاتية*. عمان: دار الشروق.
- أحمد الخطيب. (1986). *حزب الشعب الجزائري* (المجلد الجزء 1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- أحمد تيمور باشا. (2019). *أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث*. مؤسسة هنداوي.
- أحمد مريوش. (2007). *الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية* (الإصدار الطبعة 1). دار هومة.
- الفضيل الورتلاني . (2009). *الجزائر الثائرة*. الجزائر: دار الهدى.
- بشير بلاح. (د.ت). *تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)* (المجلد الجزء 1). دار المعرفة.
- تركي رابح عمامرة. (2004). *جمعية العلماء المسلمين الجزائرين التاريخية 1931-1956 ورؤساؤها الثلاثة* (الإصدار الطبعة 1).
- رابح تركي. (د.ت). *الشيخ عبد الحميد بن باديس (رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر)* (الإصدار طبعة خاصة).
- رياض شروانة، و عمارة علاوة. (2020). *وثائق مالك بن نبي في الأرشيف الوطني الفرنسي*. دار الهدى.
- زكي ميلاد. (1998). *مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دراسة تحليلية ونقدية*. بيروت: دار الفكر المعاصر.
- زهير إحدادان. (2012). *الصحافة المكتوبة في الجزائر*. ديوان المطبوعات الجامعية.
- سعد الله أبو القاسم. (1992). *الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1954)* (الإصدار الطبعة 5، المجلد الجزء 3). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- سعد الله أبو القاسم. (1992). *الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)* (الإصدار الطبعة 4، المجلد الجزء 2). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- سعد الله أبو القاسم. (1996). *أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر* (الإصدار الطبعة 1، المجلد الجزء 4). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- سعد الله أبو القاسم. (1998). *تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954* (المجلد الجزء 4). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- سعد الله أبو القاسم. (1998). *تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954* (المجلد الجزء 7). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- سعد الله أبو القاسم. (2005). *تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1945)* (الإصدار الطبعة 5، المجلد الجزء 2). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- سعيد بورنان. (2004). *شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962)، رواد الكفاح السياسي والإصلاحي* (الإصدار الطبعة 2، المجلد الجزء 2). دار الأمل.
- شريف بن حبيس. (2012). *الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي*. (عبد الله حمادى، فيصل الأحمر، و وسيلة بوسيس، المترجمون) دار مسك.
- صاري جيلالي، و محفوظ قداش. (1887). *المقاومة السياسية (1900-1954، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري)*. (عبد القادر بن حراث، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- عبد الحميد زوزو. (2007). *الدور الساسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939)، نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- عبد الكريم بصفصاف. (د.ت). *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)*. الجزائر: عالم المعرفة.
- عبد الله بن حمد العويسي. (2011). *مالك بن نبي حياته وفكره*. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- عبد الله مقلاتي. (د.ت). *المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1954*. ديوان المطبوعات الجامعية.
- علي مراد. (2007). *الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940*. (محمد يحياتن، المترجمون) الجزائر: دار الحكمة.
- عمار بوحوش. (1997). *التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- عمار قليل. (2013). *ملحمة الجزائر الجديدة* (المجلد الجزء 1). الجزائر: دار العثمانية.
- عمر بن قينة. (1995). *اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة الغربية الحديثة*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- عمر كامل مسقاوي. (2013). *في صحبة مالك بن نبي، مسار نحو البناء الجديد* (المجلد الجزء 1). دمشق: دار الفكر.
- عمر كامل مسقاوي. (2013). *في صحبة مالك بن نبي، مسار نحو البناء والجديد* (المجلد الجزء 2). دمشق: دار الفكر.
- عواطف عبد الرحمن. (1985). *الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية، (1954-1962)*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- غازي الشمري، و جعفر ياشوش. (2017). *مالك بن نبي بين التمثل والابداع* (الإصدار الطبعة 1). دار بينوى.
- فوزية بريون. (2010). *مالك بن نبي، عصره وحياته ونظريته في الحضارة*. دمشق: دار الفكر.
- مجهول. (2007). *مذكرات مصالي الحاج (1898-1938)*. (محمد المعراجي، المترجمون)
- محفوظ قداش. (2008). *تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية* (المجلد الجزء 1). (أمحمد بن البار، المترجمون) الجزائر: دار الأمة.
- محفوظ قداش. (2008). *جزائر الجزائريين 1830-1954* . (محمد المعراجي، المترجمون)
- محمد البشير الابراهيمي. (1952-1953). *البصائر* (المجلد الجزء 9). دار الغرب الإسلامي.
- محمد العبدة. (2006). *مالك بن نبي مفكرا اجتماعي ورائد إصلاحي (1905-1973)*. دمشق: دار القلم.
- محمد الميلي. (2007). *ابن باديس وعروبة الجزائر*. الجزائر: الثقافة العربية.
- محمد بن صالح ناصر. (2006). *الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954* (الإصدار الطبعة 2).
- محمد حربي. (1994). *الثورة الجزائرية سنوات المخاض*. (نجيب عباد، و صالح المثلوني، المترجمون)
- محمد فاروق النبهان. (2012). *الاستشراق، تعريفه، مدارسه، اثاره*. السعودية: المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسبسكو.
- محمد قنانش. (1982). *الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (1919-1939)*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر.
- محمد قنانش، و محفوظ قداش. (د.ت). *نجم الشمال الإفريقي (1926-1937)*. ديوان المطبوعات الجامعية.
- من أنا. (2018). *محمد البشير الإبراهيمي سيرته بقلمه*. (رابح بن خويا، المحرر) منشورات الوطن اليوم.

← مولود عويمر. (2007). *مالك بن نبي رجل الحضارة، مسيرته وعطاؤه الفكري*. دار الأمل.

← يوسف بن خدة. (2012). *جذور أول نوفمبر 1954* (الإصدار الطبعة 2). (مسعود حاج مسعود، المترجمون) الجزائر: دار الشاطبية للنشر.

2.2. أطروحات الدكتوراه:

← عبد الحميد برقية. (2021-2022). الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879-1962 دراسة تاريخية فكرية. أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه. قسم التاريخ: جامعة 8 ماي 1945، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

3.2. رسائل الماجيستر:

← أحلام حاتم مجدي بسيسو. (2004). محمود محمد شاكر شاعرا. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستر. جامعة الأردن.

← حسن موسى العقبي. (2005). مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستر. قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة: الجامعة الإسلامية، كليو أصول الدين.

4.2. المقالات:

← بوبكر جيلالي. (2012). مكانة مالك بن نبي في الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي المعاصر. *مجلة عصور الجديدة*(العدد 5).

← جمال برجي. (2019). الفكر الاستقلالي في الحركة الوطنية الجزائرية من البداية ولغاية سنة 1951 وردود الفعل الاستعمارية. *مجلة مدارات تاريخية، المجلد 1* (العدد 4).

← جهاد رحمة العقاب، و أسماء شلغوم. (2023). نادي الترقي بين الدور السياسي والرياضي في الحركة الوطنية الجزائرية. *مجلة المرأة، المجلد 4*(العدد 1).

← خيرة المهدي الهجالة، و الصادق ذهاش. (2022). قيمة التربية والتعليم في فكر مالك بن نبي ودوره العلمي في فرنسا (1931-1956). *مجلة مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شما إفريقيا، المجلد 5*(العدد 1).

← سكينة العابد. (2018). مالك بن نبي صحفيا دراسة تحليلية لمقالات مالك بن نبي المنشورة في الصحافة الجزائرية. *مجلة الحكمة لدراسات العلمية والاتصالية، المجلد 4*(العدد 6).

← سلوى لهلالي. (2022). الثورة بالقانون والوحدة الوطنية في سياسة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري 1946-1951. *مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، المجلد 6*(العدد 1).

← عبد الرزاق قسوم. (2015). الفيلسوف حمودة بن الساعي رجل في عمق المعاناة. *مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، المجلد 3*(العدد 2).

← عبد العزيز نازه. (2020). النوادي الإسلامية لجمعية العلماء المسلمين ودورها في نشر العمل الإصلاحي "النادي الإسلامي بالجلفة أنموذجا". *مجلة عصور جديدة، المجلد 10* (العدد 1).

← عبد الكريم عنيات. (2021). شروط النهضة بين بن نبي وجمعية العلماء المسلمين، دراسة نقدية. *مجلة منيرفا، المجلد 6*(العدد 1).

← عزيز خيثر. (2022). المطالب الاجتماعية والاقتصادية للشيوعيين في الجزائر. *مجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 14* (العدد 2).

← فاطمة خباش. (2023). صحافة التيار الشيوعي والقضية الوطنية "جريدة الكفاح الاجتماعي انموذجا". *مجلية العيار، المجلد 27*(العدد 2).

← فتيحة تمريسيت. (د.ت). قراءة أنثروبولوجيةلفكر مالك بن نبي (تحليل كتاب شروط النهضة). *مجلة التغيير الاجتماعي*.

← لخضر شايب. (د.ت). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فكر الأستاذ مالك بن نبي. *مجلة الأحياء*(العدد 2).

← محمد رابح. (2017). صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية. *مجلة القرطاس*(العدد 6).

← مراد سلالي. (2024). دور مؤسسة الوقف الإسلامي في نشر ثقافة الابتكار والاجتهاد والتجديد (قراءة وتحليل في فكر مالك بن نبي). *مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية، المجلد 11* (العدد 1).

← مصطفى أو عامري. (2016). الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية 1920-1954. *مجلة الحضارة الإسلامية* (العدد 29).

← معمر حيار. (2019). فرحات عباس كما يراه مالك بن نبي. *مجلة وسوم*(العدد 841).

5.2. المو اقع الإلكترونية:

← معمر حبار. (2019). *فرحات عباس كما يراه مالك بن نبي*. تم الاسترداد من رابطة أدباء الشام: https://odabasham.net.

II- المصادروالمراجع باللغة الأجنبية:

1. المصادر باللغة الأجنبية:

1.1. الكتب:

→ Bennabi, M. (2007). *Pourritures (1932-1940)* (Vol. T 01). Alger: Dar El-Oumma.

→ Bennabi, M. (s.d). *Mémoires D'un témoin Siècle.* Alger: Imprimeries Nasionales Algeriennes.

2. المو اقع الإلكترونية:

→ Hammouti, A. (2020). *L'Algérie rend hommage à Malek bennabi*. Récupéré sur Facbook: https://www.facbook.com.

→ tristoc. (s.d). *Le philosophe algérien Malek Bennabi-premier à droite-avec Gamal Abdel Nsser le président de la république arabe en 1963*. Récupéré sur flickr: https://flickr.com.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويـــات

البسملة.....ا
الاهداء.....II
الشكر والعرفان.....IV
المقـدمـة.....1

الفصل الأول: تيارات الحركة الوطنية الجزائرية

1.التيار الإصلاحي:.....11
1.1. تأسيس جمعية العلماء المسلمين:.....11
2.1. أهداف جمعية العلماء:.....11
2.التيار الإدماجي:.....13
1.2. نشأة التيار الإدماجي:.....13
2.2. مطالب التيار الإدماجي:.....14
3.2. برنامج الإدماجيين:.....16
3.التيار الاستقلالي:.....17
1.3. تأسيسه:.....17
2.3. برنامجه السياسي:.....18
3.3. حزب الشعب الجزائري 1937:.....20

الفصل الثاني: مالك بن نبي صورة حياة (1905-1973)

1.مالك بن نبي الطفل (1905-1930):.....31
1.1. شاهد على غروب عصر المقاومة وبزوغ الفكر النهضوي:.....31
2.1. مالك بن نبي رجل الفطرة:.....32
3.1. مهد في مواجهة التغريب:.....34
2.بن نبي الطالب والمفكر (1930-1963):.....39

1.2. مالك من دفع التغريب إلى الاغتراب: 39

2.2. مالك بن نبي في مهب الأفكار: 41

3.2. رحلة بن نبي إلى مصر (1956-1963): 42

4.2. مؤلفاته الفكرية: 45

الفصل الثالث: الحركة الوطنية في فكر مالك بن نبي

1.بن نبي وجمعية العلماء المسلمين (التقدير والدعم): 56

1.1. جمعية العلماء في فكر بن نبي: 56

2.1. عبد الحميد بن باديس كما يراه مالك بن نبي: 57

3.1. مساهمة بن نبي في جريدة البصائر (1949- 1953): 58

2. قراءة بن نبي لأعطاب المشروع الإصلاحي: 60

1.2. سطحية الخطاب الإصلاحي وعامل القابلية للاستعمار: 60

2.2. الجمعية والمؤتمر الإسلامي 1936 في رؤية بن نبي: 61

3. التيارات السياسية للحركة الوطنية في تصور مالك بن نبي: 63

1.3. الاتجاه الاستقلالي في ميزان بن نبي: 63

2.3. النخبة الاندماجية في كتابات بن نبي: 66

3.3. التيار الشيوعي كما شخصه بن نبي: 70

خاتمة 74

الملاحق 77

قائمة المصادر والمراجع 86

فهرس المحتويات 94

الملخص: 97

الملخص:

يهدف هذا البحث، الموسوم بـ"**مالك بن نبي والحركة الوطنية الجزائرية – قراءة في مؤلفاته**"، إلى تقديم فهم معمق لموقف المفكر الجزائري مالك بن نبي من مختلف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، وذلك من خلال استحضار رؤيته الحضارية الشاملة، ومفاهيمه الفكرية التي تجاوزت القراءة السياسية الضيقة. إذ تسعى هذه الدراسة إلى تجاوز المقاربات التاريخية التقليدية التي اختزلت نضال الجزائريين في أبعاده السياسية أو التنظيمية، لتقدّم بدلًا عنها قراءة نقدية تستند إلى أدوات بن نبي التحليلية، وتعيد مساءلة المشروع الوطني في ضوء بنية المجتمع ومكامن الخلل الحضاري.

لقد تزامن بروز مالك بن نبي مع مرحلة مفصلية من تاريخ الجزائر، اتسمت بحراك وطني وفكري متسارع، وبظهور تيارات متعددة اختلفت في أهدافها ووسائلها. غير أنّ بن نبي، بخلاف كثير من معاصريه، اختار أن يخوض معركة التحرّر من موقع فكري متعالٍ عن الاصطفاف السياسي، متأمّلاً في الشروط العميقة التي تصنع فاعلية الأمم. ومن هنا جاءت تحليلاته للحركة الوطنية محمّلة بنقد حضاري عميق، يربط بين الفعل السياسي ومدى نضج الإنسان المسلم والمجتمع المستعمَر، دون الوقوع في التبرير أو التهوين.

إن دوافع اختيار هذا الموضوع تتجاوز حدود الانشغال الأكاديمي، لتعكس وعيًا بمركزية فكر بن نبي في تفكيك الظاهرة الاستعمارية من داخل الذات، وتأسيس وعي جديد يقاوم التبعية لا فقط على المستوى السياسي، بل على الصعيد الثقافي والحضاري أيضًا. ومن هنا، تروم هذه الدراسة إلى مساءلة المشروع الوطني من منظور نقديّ مستلهم من فكر بن نبي، وتفكيك تصوّراته حول النهضة والتحرر ومسؤولية النخبة.

تكمن أهمية البحث في أنّه لا يستعرض فقط ملامح فكر أحد أهم المفكرين الجزائريين في القرن العشرين، بل يربط هذا الفكر بسياقه التاريخي الحيّ، ويجعل منه أداة لفهم أعمق لمسار الحركة الوطنية، وتقييم رهاناتها وتحدياتها. كما يطمح إلى تجاوز النزعة التمجيدية التي طغت على بعض الدراسات السابقة، من خلال تقديم قراءة تحليلية ناقدة، تتّكئ على المفاهيم، ولا تكتفي بالوقائع.

Summary:

This study, entitled "Malek Bennabi and the Algerian National Movement – A Reading of His Works", aims to offer an in-depth understanding of the position of the Algerian thinker Malek Bennabi regarding the various currents of the Algerian National Movement, within his broader civilizational and intellectual framework. It seeks to move beyond conventional historical narratives that reduced this trajectory to mere political or militant dimensions, and instead provides a critical and conceptual reading of Bennabi's views.

During the first half of the twentieth century, Algeria witnessed a dynamic political and intellectual awakening marked by the emergence of various ideological currents within the national movement. In this context, Bennabi stood out as a singular voice who sought to

connect socio-political developments with deeper civilizational and structural realities. While much scholarly attention has been paid to his philosophical contributions, his reflections on the Algerian national struggle remain underexplored.

The motivation behind this research lies in a deep epistemological concern that transcends academic curiosity. It reflects an intellectual and emotional engagement with Bennabi's original project, which aimed to dismantle stagnant mental frameworks and reframe the question of liberation within a broader civilizational paradigm. The study emphasizes that Bennabi did not engage directly in party politics; rather, his position was that of a critical observer who reassessed the nationalist project in light of the prerequisites of authentic human and societal regeneration.

The significance of this research stems not only from its analysis of one of Algeria's leading thinkers, but also from its effort to reconnect his intellectual contributions to the historical and ideological realities of his time. It aspires to move beyond celebratory readings by offering a critical, conceptual exploration of Bennabi's vision for reform and decolonization.